

تأليف

الشيخ هشام المقدّم العاملي

دار المحجة البيضاء



من هو الله؟


بسم الله الرحمن الرحيم

من هو اللّٰه؟

تاليف

الشيخ هشام المقدم العاملي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



الرويس ـ مفرق محلات محفوظ ستورز

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

إعلَم من هو الله

الإهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى حقيقة هذا الوجود، ومن ثمّ إلى كل باحث عن هذه الحقيقة وغايتي من ذلك الوصول بمن يقرأ هذا الكتاب إلى فهم حقيقة الله خالق هذا الكون حتى لا يظل سبحانه عنواناً فقط في فكر الإنسان، فإنّ معرفة هذا الخالق حقّ معرفته تجعل الإنسان أكثر انجذاباً إليه وبالتالي أكثر قابلية للسير في طريق الإيمان. فكلما عرف الإنسان عظمة الله وصفاته كلمّا تعلّق به وقدّسه فتكون حياة هذا الإنسان أكثر تفاعلًا مع حقيقته ووجوده وأشدُ إلتزاماً بشريعته، راجياً من كل من يقرّبه كتابي هذا إلى الله أن يدعو لي عند قراءته والإستعانة به فهو أجري عليه والحمد لله ربّ العالمين.

مؤلف الكتاب

الشيخ هشام المقدم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

ناقشنا في كتاب «نعم الله موجود» مبدأ وجود الخالق وضرورته لهذا الوجود فبعد إثبات أنّه لا بدّ أن يكون هناك واجب الوجود، وهو موجِد يكون وجوده ضرورياً لغيره وهو علة وجود كل هذه الممكنات والمحرِّك لها كما أكّده العلماء والفلاسفة والحكماء وما جاء به الأنبياء والرسل أيضاً، وحتى يزول الشك عن بصيرة النفس الإنسانية المضطربة في هذا البحر من النظريات والمقولات التي اخترعها الإنسان ولكي يطمئن العقل البشري إلى حقيقة وجود الخالق لهذا الكون والسيد لهذا الوجود كان لا بد للخالق سبحانه أن ييسِّر للإنسان طريق معرفته وأن يدلَّه على أبواب أسراره فيعرِّفه عن نفسه ويضع بين يديه مفاتيح أسرار وجوده وكان لزاماً علينا نحن أن نتحدث عن ذلك ونبيِّن صفاته ونكشف عن ذاته.

فلنتعرّف على هذا الموجِد الخالق العظيم كما عرّف هو عن نفسه لأن ذلك هو من مستلزمات الهداية، وإلا فكيف تؤمن النفس والروح بخالق تجهله فكان من اللازم على الله أن يخبر عن نفسه عن طريق أنبياءه حتى لا يكون للإنسان وللبشر حجة على خالقهم. فلنسلك إذاً

هذاالطريق، طريق معرفة الله الموصل إلى سعادة النفس وطمأنينتها وإلى هدوء العقل واستقراره بمعرفة أصل وجوده وخالقه فنجيب عن سؤال «منْ هو الله؟».



وجود الله

الله نور السموات والأرض فهو في كل مكان مع كل شيء:

فنبدأ ونقول بأنّ الله سبحانه وصف نفسه بأنّه نور السموات والأرض، فقد شبّه سبحانه نفسه بالنور لأنّ ذاته تضيء للإنسان في كل مكان في هذا الوجود دون استثناء، فكما النور يُظهر الأشياء فنراها فكذلك ذات الله تُظهر كل شيء في الوجود بخلقه وإخراجه إلى الحياة فيصبح ظاهراً فيراه الإنسان. وبما أنّ العقل لا يستطيع إدراك الذات الإلهية لأنّه ليس لها حدوداً وأبعاد وجّهات لأنّ هذه الصفات كما قلنا تختص بالأجسام المادية التي تحتاج إلى شكل وأبعاد في وجودها، فقد قرّب سبحانه فكرة وجوده لهذا العقل بوصف نفسه بالنور للتشابه، فالنور يظهر على الكون دفعة واحدة ليغطي كل الموجودات فيه بلا استثناء فكذلك الله هو ظاهر في الكون دفعة واحدة يغطي وجوده كل الموجودات بلا استثناء، والنور ليس له شكل وحدود فكذلك ذات الله ليس لها شكل ولا حدود وكما أنّ نور الشمس إذا أشرقت فلا يخلو منه مكان في السموات ولا في الأرض فكذلك ذات الله سبحانه لا يخلو منها مكان في السماوات والأرض وأكثر من ذلك فإنَّ الحواجز المادية

التي تمنع وصول النور لا تستطيع أن تمنع إنسياب الذات الإلهية عبرها فهو كما وصف نفسه في القرآن الكريم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]. إذاً فهو سبحانه كنور النهار يحيط بكل شيء ومع كل شيء.

ثمَّ أننا حين نقول بأنّ الذات الإلهية موجودة مع كل شيء وفي كل مكان فإنّنا لا نقصد أنّها وجوداً مادياً فذات الله ليست وجوداً مادياً فلا تدرك بالحواس، فالحواس إنّما تدرك ماله قابلية أنْ يُرى ويُسمع ويُشَم والله ليس له هذه القابليات ليكون محسوساً فهو ليس بمادة وليس له صفاتها، ولو كان وجوداً مادياً لكان له جسم وأبعاد وحدود لأنّ المادة لا تظهر للأبصار إلاّ عبرُ تشكّل الأجسام ذات الأبعاد والحدود، فنحن حين نرى المادة فإنّنا نرى حدودها التي أعطتها شكلها والله ليس له أبداً صفات المادة وكما قلنا فيما سبق أنّه لأجل ذلك لا يُرى فليس له حدود بل وجوده لا نهاية له.

وأضفنا فيما سبق أيضاً بأنّه لا يمكن تصوّر الله بسبب عدم كونه جسماً ولا مادة وليس له حدود فلا يمكن للعقل تصوّره فهو ليس له هيئة تميِّزه ولا مكان يحدُه لأنّه موجود في كلّ جهات هذا الوجود لا في جهة دون جهة. فوجوده سبحانه أبعد من إمتداد هذا الكون وإلى ما لا نهاية والعقل لا يتصوَّر إلا المحدود.

إذاً فالله سبحانه موجود مع كل شيء ولا يخلو منه مكان لا كالمادة فهو كالروح للجسد هو الروح لهذا الكون، فهل ترى حياةً للجسد بلا روح فكذلك لا حياة للوجود بلا الذات الإلهية التي تعطي الحياة

(١) المصدر: القرآن الكريم، في سورة الحديد، الآية: ٤.

للوجود كما تعطي الروح الحياة للجسد. ثمَّ أنّك هل ترى الروح ببصرك أو تدركها بباقي الحواس فكذلك الذات الإلهية لا تُدرك بالبصر ولا بباقي الحواس وكما أنّ الروح هي أساس الحركة للجسد فكذلك الذات الإلهية هي أساس الحركة لهذا الوجود، وهنا يتبيّن لنا أكثر ضرورة وجود محرك لهذا الوجود فكما أنّه لا حركة للجسد بلا الروح فكذلك لا حركة لهذا الوجود بلا الذات الإلهية المحركة له وكما أنّنا لا نستطيع أن نقبل فكرة أنّ جسد الإنسان يتحرك بنفسه بلا روح فكذلك المفترض أن نتقبل بأنّ الوجود لا يتحرك بلا محرك له وهو الذات الإلهية المحركة لهذا الوجود، والتي هي كما بيَّنا أنّها تتحرك بنفسها وليست بحاجة لمحرِّك لها فهي قائمة بذاتها فلا تحتاج لغيرها وهي ضرورية الوجود لهذا الكون فهذا هو الله إله هذا الكون.

هكذا نفهم بأنّ الله سبحانه موجود في كل مكان ومحيط بكل الموجودات والمحرِّك لها وعلة لوجودها وبقاءها، وهذا يفسِّر أكثر معنى أنّ الله يفيض بالوجود على هذا الكون وهو سر بقاءه واستمراره وسبب الحياة فيه. ثمَّ حتى تفهم كيف أنّ الله موجود في كل مكان ومع كل شيء ألا ترى بأنّه في نفس اللحظة يموت الآلاف من الأشخاص ويولد الآلاف من الأشخاص في أماكن متباعدة جداً بعضها عن بعض وفي نفس اللحظة وكيف يهطل المطر في نفس الوقت في أمكنة مختلفة فالذي يدير كل هذه الأمور في لحظة واحدة ويتحكَّم بها هو الله سبحانه الموجود في كل الأمكنة في نفس اللحظة والذي ينزل المطر بمقدار ينفع البشر ولا يضرهم وإلا لطافت الأرض على أهلها فلو لم يكن هناك مدبِّر لأمور الكون والبشر موجود في كل الأمكنة وفي نفس

اللحظة لعمَّت الفوضى في هذه اللحظة الواحدة ولتداخلت الأمور بعضها ببعض. وهذا التدبير للكون أشار إليه أنبياء الله في قولهم على لسان الأوصياء: «ولا يشغله شيء عن شيء» فهو سبحانه يسيِّر هذا الكون الشاسع في اللحظة الواحدة بلا خطأ ولا خلل وهذا ما أشار إليه عزّ وجلّ أيضاً في القرآن الكريم[١] : بسم الله : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ **. فهذا يدل على** التدبير الحكيم لله في الكون فهو يشرف على كل شيء وموجود معه في اللحظة الواحدة ولا يشغله فعل شيء عن فعل شيء آخر.

إذاً فلا شك بأنّ ملاحظة الكون ومعرفة أسراره توصل إلى معرفة الله سبحانه وأنّه مع كل شيء، كيف لا وهو أصل الوجود وبه يتجلى هذا الوجود فهو الخالق والمبدع لكل الموجودات، فلو نظرنا إلى الشمس والقمر والأرض كيف تقف في الفراغ رغم ضخامتها وثقلها دون أن تقع أو تختل وسألنا منْ يحافظ على توازنها لتوصّلنا إلى سر وجود الله تعالى واستمرار الكون بوجوده وأنّه مع كل شيء، فلو قلت أنّ سبب ذلك هو قوى طبيعية تتحكَّم بها لقلت لك ومنْ الذي جعل هذه القوانين الطبيعية ومنْ الذي نظَّمها على هذا النظام الفريد ومنْ الذي يشرف على هذا النظام حتى لا يصيبه الخلل ونحن نعلم أنّه ليس هناك صنعة لا يصيبها الهرم والخلل. **فمنْ الذي يمسك هذا الكون ويحافظ عليه والجواب يأتي من خالق الكون على لسان نبيه محمد** ﷺ **في القرآن حينما يعرِّف عن نفسه بسم الله:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ

---

(١) المصدر: القرآن الكريم سورة ياسين، الآية ٤٠.

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾[1]. فإذا كان الله معنا في كل مكان وهو الذي يدير حياتنا ويعطينا الوجود وهو الذي لا حاجة له بصحبتنا، فلنكن نحن مع الله ونحن الذين بحاجة إليه في كل لحظة في حياتنا نتنفس فيها وتشرق فيها الشمس علينا اعترافاً بفضله، لأنّه بدون معرفة الله يعيش الإنسان في ظلمة القلب وكآبة الروح لأنه أنكر من أنعم عليه وظلمة القلب أصعب من ظلمة البصر لأنه عمي عن الحقيقة وكآبة الروح هي مرض هذا الزمن، فلنخرج إذاً إلى نور الله سبحانه وإلى سعادة الروح بمعرفة خالقها.

الله موجود في كل مكان على لسان علي بن أبي طالب عليه السلام:

حينما وضع الإنسان المفردات وجعلها لغة وضعها وفق ما يحتاج إليه في تفاهمه مع الأفراد وليعبِّر عمّا يحيط به من موجودات فهي وافية في نطاق مدركات الإنسان ومن هذه المفردات الصفات التي يعبر بها الإنسان عن الأشكال والألوان والميزات لهذه الموجودات التي يستطيع الإنسان إدراكها وتصوّرها ولما يصل إليه أفقه. إذاً فكيف يستطيع هذا الإنسان وصف هذا الإله العظيم بمفرداته المحدودة والناقصة وهو الإله الذي لا يماثله شيء في هذا الوجود ليوصف به ولا يحده العقل فكيف يعبِّر عنه، وهو فوق تصوّره فماذا يقول عنه، **ولهذا سمَّى الإله نفسه الله مشتقةً من يأله «أي يحير لأنّه تحير العقول في فهم كنهه» وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابراز**

(١) المصدر: القرآن الكريم. في سورة الملك، الآية: ١٩.

عدم القدرة على حصر ماهية الله سبحانه في الأفهام حينما قال عليه السلام «ولا يؤدِّي حقه المجتهدون، ولا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن»[١] فالإنسان مهما كان عنده من همة بعيدة في البحث عن حقائق الأمور ومهما كان فطناً وغاص في معرفة الخالق سبحانه ومهما اجتهد فلنّ يستطيع إدراك كنه الخالق إلا بما يخبره به الخالق عن نفسه.

ثمَّ يتابع عليه السلام وهو الذي علّمه الله ورسوله محمَّد صلى الله عليه وآله من علوم السماء وما وراء الحجب المادية فيقول في شرح كنه الله الذي يعصى على أدراك البشر «ومن جزَّأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه»[٢] فهنا يشير علي عليه السلام بأنّ الذات الإلهية هي كما قلنا كالنور في وجودها وحْدة موحَّدة لا تتجزأ وتسطع دفعة واحدة على الوجود فليس لها أجزاء تتقدم وتتأخر على بعضها في السطوع أو تسطع حيناً وتغيب حيناً في تداور بين الأجزاء بل ذات الله واحدة، ومن يقول غير ذلك فقد جهله سبحانه، وبما أنّه هو موجود في كل مكان في كل الجهات ومحيط بكل شيء وبكل هذا الوجود فلا يشار إليه في جهة أو في مكان ولا يكون ذلك إلا نتيجة جهل به، فإذا أشرت إليه سبحانه فإنك قد جعلته في مكان وما يكون في مكان يعني أنّ له حدود وأنك إعتبرته أنه فيها دون غيرها ونسبته إلى هذا المكان دون غيره، والله وجوده أوسع من هذا الكون فكيف يكون في مكان هو خلقه فليس له إذاً حدود، لأنّه لو كان له حدود لكان ما يلي

(١) المصدر: نهج البلاغة للشيخ محمد عبده.
(٢) المصدر: نهج البلاغة للشيخ محمد عبده.

حدّه إمّا الفراغ وإمّا شيء آخر والإثنان منتفيان لأنّه أن يكون هناك شيء آخر فهذا غير ممكن لأنّك قد جعلت له وجوداً مستقلاً الله غير محيط به فهو (أي الآخر) مستقل في وجوده قادر على إيجاد نفسه والاستمرار بنفسه وهذا مستحيل لأنّ أصل الوجود لا يمكن إلا أن يكون واحداً كما رأينا وأن يكون فراغاً بلا وجود للذات الإلهية فهذا أيضاً مستحيل كما بيّنا لأن الوجود يستمد معناه من الله الموجِد له فإذا إنتفت الذات الإلهية إنتفى الوجود وساد العدم، **فإذاً لا يمكن لشيء أن يكون له وجود مستقل من دون وجود الله وبينه وبين الله حد. فالله سبحانه لا يعدّ مع شيء آخر فليس هناك وجود مستقل عن وجود الله وخال عنه حتى يعدّ معه فلذلك قال علماء الكلام والفلاسفة «الله واحد لا كالعدد فلا عدد بعده»**[1]**، فالله موجود مع كل شيء فلا يستقل شيء عنه وفي كل مكان إذ الأمكنة تستمد وجودها من وجوده.**

يتابع أيضاً عليه السلام **لإيضاح كنه الله سبحانه أكثر فيقول «ومن قال فيمَ فقد ضمّنه ومن قال علام فقد أخلى منه»** ومعنى ذلك أنّه من يقول فيمَ هو موجود الله أي في أي شيء أو في أي مكان هو فقد وضعه ضمن حيِّز معيَّن وجعل له حدود وأعتبره شبيهاً بالأجسام وكل ذلك بعيد عن جوهر الذات الإلهية وطبيعتها فوجود الله سبحانه أوسع من الأمكنة ومن فكرة إنتسابه إلى مكان، فجوهره ملازم لمعنى الوجود فلا يمكن أن تتصوّر وجود بلا وجود الله معه فوجوده سبحانه أبعد من الوجود الذي يمكن أن يدركه البشر فلذلك يعجز العقل البشري عن إدراك

(١) المصدر: كتاب عقائد الإمامية للسيد المجتهد إبراهيم الموسوي الزنجاني.

الوجود الإلهي إدراكاً تاماً. ومن قال علام أي على أي شيء هو موجود سبحانه فهذا غير ممكن أيضاً لأنّ وجوده على شيء يعني أنّ ما تحته خال منه، فما يصوَّر في الصور المقدّسة بأنّه سبحانه في الأعالي ونحن نرفع رؤوسنا للتوجه إليه ليس إلا تعبيراً معنوياً للارتفاع والعلو المعنوي لله، ولكنّ الله موجود في كل مكان ومع أي شيء فهو يقول في **وصف نفسه سبحانه في القرآن بسم**[١] **الله** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ **ويقول أيضاً: بسم**[٢] **الله**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فالله موجود مع كل إنسان رغم كثرة عدد البشر ومع كل شيء رغم اتساع هذا الوجود وهذا من عظمة الله، ولذلك سمِّي إله لأنّه لا يوجد شيء يستطيع الإتصاف بهذه الصفات غيره.

أخيراً يوضِّح الإمام علي عليه السلام فكرة وجود ذات الله بعد أن بيّن عدم خلو شيء ومكان منها فيقول[٣]: **«هو مع كل شيء بلا حلول ولا إتحاد وغير كل شيء لا بمزايلة» ومعناه أنّ الله سبحانه محيط بكل الوجود وبكل موجود في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة في وقت واحد دون أن يحلَّ في الأشياء حلول الشيء في الوعاء ولا يتَّحد معها فتصبح معه شيئاً واحداً لأنّ خالق الشيء لا يتَّحد مع مخلوقه، وهذا لا يعني أنّ هذا الشيء أصبح مستقلاً قادراً بنفسه بل هو تابعٌ بوجوده لوجود خالقه ومستمرّ وجوده بوجود خالقه كالظل للشيء هو موجود بوجود الشيء**

(١) المصدر: القرآن الكريم، في سورة المجادلة الآية: ٧.
(٢) المصدر: القرآن الكريم في سورة الحديد الآية ٤.
(٣) المصدر: نهج البلاغة للشيخ محمد عبده.

وينتفي بانتفاءه. ثمَّ يوضح عليه السلام أنّ الله كما بيّنا هو غير كل شيء فليس هناك شيء يشاركه في نوع هذه الطبيعة فهو فريدٌ في وجوده لا يستطيع العقل أن يجد له مثيلاً أو شبيهاً فهو عاجز عن ادراك طبيعته ولكن يرى تجلياته وآثاره، ويكمل عليه السلام بأنّه سبحانه رغم مغايرته للموجودات والمخلوقات ولكن لا بمزايلة فهو لا يزول عنها وعن الإحاطة بها ولا يبتعد عنها أو يغفل عما تفعل أو عن حاضرها ومستقبلها فلذلك ليست الموجودات مستقلة بذاتها وبأفعالها، وهكذا الإنسان الله محيط به مراقب له في كل لحظة قادرٌ عليه، ولكن غفلة الإنسان عن خالقه وانجراف هذا الإنسان في الحياة المادية تجعل هناك حاجباً عن ملاحظة الخالق والتفكّر في آثاره للوصول إليه. فهل تتنبَّه أيها الإنسان خلال أيامك ولياليك وتضع ضجيج هذه الحياة المادية جانباً وتفكر فيما يحيط بك وفي هذا الكون فتشعر عندها بهذا الوجود للخالق وتقترب إلى حقيقته وتفتح أمامك طريق السعادة الحقيقية لهذه النفس لتصل إلى شاطىء الأمان والمعرفة الصحيحة لهذا الوجود.



الله سميع بصير

بعد أن اتَّضح كيف نفهم وجود الله سبحانه المحيط بهذا لوجود عليه السلام فاعلم بأنّه سبحانه يسمع ويبصر كل ما في هذا الوجود ولكن لا بمعنى أنّ له أذن يسمع بها وعين يرى بها فصفاته عز وجلّ ليست كصفات البشر ولكن نحن نطلق هذه الصفات عليه بما يفهمه البشر ويدركه عقلنا لأننا قلنا بأن الألفاظ وضعت للتعبير عما يتعامل معه الإنسان ويحيط به وهي لا تسع صفات الإله، فكما قلنا بأنّ الله سبحانه ليس وجوداً مادياً وليس له جسم ولكن هو غير كل شيء ولا شبيه له في الوجود. وقد فسَّر علماء الكلام بأنّ صفتي السمع والبصر لله تُردّان إلى صفة عِلم الله، فإنّ علم الله بالموجودات في هذا الكون وإحاطته بها أينما كانت فهي إبصار لها فالبصر عمله نقل الصورة إلى الدماغ الذي يتولى تحليلها وإعطاء نتيجتها إلى صاحبها فيصبح عنده علم بها وطالما أنّ الله سبحانه محيط بكل شيء وبكل الأشياء فإن صورتها تكون عنده بذاتها والمركز الذي يجب أن تنتقل إليه هي ذات الله نفسها المحيطة بالأشياء العالم بها سلفاً والتي ليس بحاجة إلى تحليلها لإعطاء نتيجتها، إذاً فصور الأشياء حاضرة بنفسها عنده سبحانه وهو عالم بها وبمكوناتها وصفاتها فهو مبصر بها بهذا المعنى.

أكثر من هذا فنحن نعلم بأنّ الإبصار عند أي مخلوق هو بحدود ما يدركه بصره ولا تعوقه الحواجز فيصل إليه أمّا الله سبحانه فإبصاره بالمعنى الذي ذكرناه لا يعيقه حاجز ولا يعصى عليه شيء أو مخلوق إذا كان محجوباً، فهو إذاً يبصر بما في المجرات البعيدة ويبصر بما في قعر البحار والمحيطات ويبصر تحت التراب، وبواطن الأشياء وتركيبها وأجزاءها فهو الإله صاحب القدرات المطلقة وهو على هذا الأساس كما ورد في القرآن خاطب النبي موسى عليه السلام مع أخيه هارون عند ذهابهما إلى فرعون قائلاً لهما[١]: بسم الله ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾. فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في هذا الكون وقد وصف نفسه لذلك: بسم الله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[٢] فهو يدرك كل شيء ولا تدركه الأبصار لامتناعه عنها فهو لا يُرى بالأبصار ولعلوه المعنوي ولكن تراه قلوب المؤمنين به.

وهذا لقمان الحكيم المعروف عبر التاريخ بحكمته يصف الله بقوله: بسم الله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾[٣] فإذا كانت ذاته الإلهية سبحانه لا تمنعها الماديات عن الإنسياب ولا الحواجز، فكيف يستطيع شيء أو مخلوق أن يختبىء عنه وهو هكذا يرى ويشهد الحوادث والحركات في كل مكان في نفس الوقت في هذا الكون الواسع وإلا كيف يمكن لأي قدرة تدبير هذا الكون الفسيح وتسيير شؤونه إذا لم تكن بهذه الصفات

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة طه، الآية: ٤٦.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من من سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية: ١٦.

وهي الصفات المختصة بالله، وإذا كان سبحانه بهذه الصفات وهو يحصي عليك أيها الإنسان حركاتك ويراقبك في الليل والنهار في الفلوات وخلف الجدران فهل من المعقول أن تظلّ متجاهلاً له وتنكره ولا تسعى للتعرّف عليه والسير نحوه فهذا جحود للحقيقة وللذي أنعم عليك بكل هذا الكون فكما أعطاك الله هذه النعم فأعطه على الأقل انتباهك ولاحظه في خلواتك وتعرف عليه.

أمّا كون الله سبحانه سميع فهذه الصفة أيضاً ترجع إلى صفة العلم عنده سبحانه، فالله لديه علم بكل الأصوات التي تصدر في هذا الكون وهذا شيء على الله هيّن فهو موجود في كل مكان ومع كل شيء ومحيط بكل شيء، وإدراك الله وعلمه بالأصوات هو إحاطته بها حين صدورها ومعرفته بها وبوجودها وهو الموجِد لمصادر الأصوات فكيف لا يعلم بها وهو معها، والسمع كما نعلم ليس إلا التقاط الذبذبات للأصوات عن طريق الأذن وتحويلها إلى مركز الدماغ ليصبح عندنا علم بها بعد تحليلها ونقلها إلينا والله سبحانه ليس بحاجة لما يشبه الأذن لالتقاط الأصوات وتحليلها فهو تعالى عالم بكل الأصوات حين صدورها لأنه معها ومُدرك لمصادرها وماهيتها ووجودها على اختلاف درجاتها إذ هو المراقب لسير كل شيء في الكون ومحيط به لأنه خالقه فكل شيء يتحرك أو أي صوت يصدر عن كائن حي أو عن تحريك الجمادات فهو في علم الله فهو إذن يسمع كل شيء في كل الأمكنة وفي نفس الوقت وقد وصف نفسه بأنّه لا يمكن أن يخفى عليه سمع شيء أو حركة شيء أو وجود شيء فقال سبحانه: بسم الله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(١)] .

وهكذا يستطيع الله بصفات العلم والسمع والإبصار مع القدرة تدبير شؤون هذا الكون الشاسع وشؤون الناس وحركة الأفلاك والكواكب وقد خاطب الإنسان صراحة بذلك حين قال على لسان نبيه محمد ﷺ ليعرّف سبحانه عن قربه للإنسان بقوله: بسم الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(٢)]. فبعدما عرفت وأنّ الله يسمع ويرى كل ما في هذا الكون وهو قريب إليك هذا القرب وهو مراقبك أينما كنت أفلا يستحق ذلك بعدما عرفت من صفات هذا الإله العظيم أن تقترب أنت إليه وتؤمن به وتتعرّف عليه.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

علم الله

الله يعلم كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الكون:

أصبح من الواضح ممّا بيّنا كيف أنّ الله يعلم كل شيء في هذا الكون بعد أن عرفت بأنّ الذات الإلهية تحيط بكل ما هو موجود في هذا الوجود وأنّ كل شيء مراقب من الله في كل الأمكنة وفي نفس الوقت، وكل شيء يتحرك في هذا الكون فهو معروف ومفهوم عنده تعالى. إذاً فلا شك ولا ريب أن يكون كل ما في هذا الكون وكل ما يجري فيه معلوم عند الله، فإذا كان سبحانه لا يخلو منه شيء في هذا الوجود فكيف يمكن أن يحدث فعل أو حركة لحي أو جماد دون أن يعلمه وكما قلنا بأن الله لا يشارك الموجودات في صفاتها فهو الإله المتفرِّد بطبيعته وصفاته فهو لذلك لا يعرف السهو أو الخطأ أو النسيان إذ أنّ هذه الصفات هي للمخلوق فهي لا ترد على الذات الإلهية لكي تُخِل بعلم الله بالوجود وحوادثه أو تمنعه عن الإهتمام بتدبير شؤونه، فهو سبحانه لا يغفل ولا ينام لأنّه سبحانه لا يشبه البشر فهو الإله ولا شيء مثله ولا إله غيره وقد عبّر عن نفسه(١): بسم الله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فعلم الله دائم شامل لكل ما في الوجود فكما لا يخلو منه شيء فكذلك لا يخفى عن علمه شيء فلا يشغله سبحانه فعل شيء عن فعل شيء آخر ولا الإهتمام بشيء عن الإهتمام بشيء آخر ولا علم شيء عن علم أشياء أخرى فهذا هوالإله المدبِّر للكون وسر انتظام الكون ناشىء من صفات هذا الإله العظيم. وقد عبَّر أيضاً عن نفسه سبحانه: بسم الله[1] ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بمعنى أنّه ليس هناك شيء لا يشمله علم الله وهذا هو المعنى اللغوي لكلمَة وَسِعَ، وهذا شيء طبيعي فهو سبحانه يعلم بما خلَق ويعلم بما يجري في خلقه وهو الذي صنع وهو الذي يسيِّر صنعته ويحركها، حتى الإنسان ولكن لا تشعرون.

علم الله قديم أزلي فيعلم بما في الغيب:

اعلم أنّ علم الله قديم أزلي بمعنى أنّ الله يعلم بالموجودات وما يحدث عليها منذ بدء الخلق، على اختلافها وأنواعها قبل أن تتكون وقبل أن تُوجد. فهو سبحانه عالم بها قبل خلقها وكيف لا يكون ذلك وهو الذي يخلقها ويكونها وهو المُريد الذي إذا أراد فعل شيء فلا إله غيره يعارضه أو يعيقه عمّا يريد فهو بهذا المعنى يعلم بما يريد أن يُوجد في المستقبل، وبما أنّه سبحانه كما بيّنا يتحكَّم بمصير مخلوقاته من أحياء وجمادات فهو يعلم كيف سيسيِّرها وما هو المصير الذي سيختاره لها وما هي الحوادث التي سيُجريها عليها إذاً فهو عالم بها

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

وبكل تفاصيلها قبل أن يُوجدها من بدء خلقها حتى فناءها ومن ضمنها الإنسان، ولا تستغرب ذلك فإنّ سر وجود هذا الإنسان يتعلق بعلم الله وتقديره له كما يبينه قوله سبحانه في كتابه قبل أن خلَق الإنسان: بسم الله[1]: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فهذا الكلام لله يدل على أنّه سبحانه يحدِّث الملائكة عن علمه المستقبلي بخلق الإنسان وبما حضَّر لهذا الإنسان في هذه الأرض ويؤكِّد للإنسان بأنّه خطّط وجوده ومصيره وذلك قبل أن يكون هناك مخلوق على وجه هذه البسيطة.

وقد أخبرنا الأنبياء عليهم السلام بأنّ مصير هذا الكون منذ خلْقه حتى فناءه وما سيحدث عليه مدوَّن في كتاب عند الله أسماه أمُ الكتاب بسم الله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] فهذا الكتاب يثبت فيه الخالق ما يشاء من مقادير هذا العالم ويمحو إن شاء من الأمور المقدّرة للبشر، وكذلك مصير الأمم منذ نشأتها على هذه الأرض حتى انهيارها هي في علم الله وبتقديره منذ بدايتها حتى نهايتها وإخبار الله صريح في بذلك بسم الله ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3] فتقديره سبحانه هو حتى في أدق التفاصيل وهي الساعة التي تنتهي فيها كل أمة واستقراء التاريخ يؤكد ذلك فكل الأمم القديمة التي ذكرها التاريخ ذكر بدايتها ونهايتها وليس منها ما استمر

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

إلا لفترة معينة وأشهرها قوم فرعون في مصر الذين أرسل إليهم الله النبي موسى عليه السلام.

بعد كل ما اتضح من أنّ الله سبحانه لا يخلو منه مكان وهو عالم بكل ما في الوجود لأنّه محيط بكل الموجودات، ويعلم بما سيُخلَق وبما سيختار لمخلوقاته فهو إذاً عالم بمصير الكون منذ بدء الخلق فعلم الله قديم منذ الأزل وهو يتحكّم بالوجود وبالموجودات، فاعلم بأنّه سبحانه قد إختص نفسه بعلم هو علم الغيب الذي لا يشاركه فيه أحد وقد أخبر البشر ليبيّن لهم هذا وليوضح حقيقته فقال[1] بسم الله: ﴿يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فتصوّر أيها الإنسان أنّه حتى الورقة إذا سقطت عن الشجرة أو الحبة الموجودة في طبقات الأرض وكل شيء متصف بالرطوبة أو اليباس يعلم الله به وبما يجري عليه وهو في كتاب عنده منذ خلق هذه الأرض، فعلم الله يحيط بدقائق الأمور وبكبرياتها من الأشياء الصغيرة حتى مصير الأمم والكون. فكل إنسان يولد في هذه الأرض في أي مكان منها وفي نفس اللحظة أو أي إنسان يموت فيها أكان في الشرق أو في الغرب وفي نفس هذه اللحظة فهو في علم الله وفي كتاب عنده ويوضح سبحانه حقيقته هذه في القرآن الكريم فيقول[2]: بسم الله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ فالنقصان هو الموت والإزدياد هو الولادة والمقصود في الكلام هو الإنسان وكل ذلك في كتاب وهذا يؤكد ويفسّر بأنّ الله يدبّر ويتولى كل

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية: ١٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة ق، الآية: ٤.

ما في هذا الكون وفي نفس اللحظة وفي كل الأمكنة لأنه موجود في كل مكان، فعلم الغيب هو من الأشياء التي توضِّح صفات الألوهية التي هي فوق مستوى تصوّر الشر وتبيِّن التفوق المطلق اللامحدود لقدرة الله فلا يحيط بها إدراك البشر وتفسِّر كيف أنّ الله لا إله غيره ولا مثيل له وكيف أنّه الإله المتفرِّد لهذا الكون، فهو الخالق وهو المدبِّر لمخلوقاته وهو العالم بمصيرها والمؤثر فيها.

بعدما عرفت يتضّح لك أنّه مهما توصل الإنسان إلى صنع حاسوب متطوِّر وذاكرة آلية وبرامج حفظ، فعلم الله سبحانه هو أعظم من ذلك وما يتوصَّل إليه الإنسان ليس إلا صنعة مخلوق خلقه الله وهو العقل، ليتدبَّر أموره على هذه البسيطة وليكون دليلاً إلى الخالق سبحانه فلا ينبغي للإنسان بعدما تبيَّن أن يتكبَّر على خالقه بهذا العقل بل بالعكس يجب أن يكون دليله إلى الخالق وأن ينظر به إلى صفات هذا الإله العظيم ويعتبر من الخلق العجيب الدقيق وصفات الإله التي هي فوق مستوى البشر فلا يعظِّم هذا الإنسان مخلوقات الخالق، بل يعظِّم الخالق على خلقه فما العلم إلا الذي يوصل إلى الحقيقة ومن لم يوصله علمه إلى ذلك فما زال يعيش في جهل ويدَّعي أنّه صاحب علم ونظر وأقوال العلماء والفلاسفة تؤيد ذلك.

علم الله حتى بما في النفوس والعقول:

يمكن للإنسان أن يدّعي وصوله إلى علوم كثيرة وهذا طبعاً بما يسَّر الله لعقل الإنسان أن يكتشف وبما حضّر له من مقدمات ليصل إلى ذلك

وإن كان هذا الإنسان لا يدرك التدخل الإلهي في هذه المسألة، كوجود الله معه دون أن يشعر. فالله موجود يتدخّل ويتحكّم بالأمور ومنها اكتشافات الإنسان كما يوضح القرآن في خطاب الله الموجّه إلى النبي نوح عليه السلام [١] بسم الله ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ فقد أوحى سبحانه إليه كيفية صناعة سفينته التي هي من السفن الكبيرة في زمنه والتي يتحدث عنها التاريخ حيث صمدت أمام الطوفان الكبير وأقلّت نبينا نوح إلى مسافات بعيدة. أمّا العلم بما في النفوس وبما يكنّه الإنسان من أفكار تدور في الدماغ وبما يتحرك داخله من شعور فهذا الإنسان لا يستطيع إدعاء معرفة ذلك، فهذا العلم أيضاً مختص بالله سبحانه لما عرفت بأن الذات الإلهية لا يحتجب عليها شيء وهي تنساب انسياب النور إلى داخل الأشياء فلا يقف جسد الإنسان حاجزاً أمامها وأمام معرفة ما في داخله، فالنفوس مكشوفة لله كالصفحة المفتوحة يرى ما في داخلها ويعلم بنواياها وما تخفي وكذلك ما في العقول وما يخطر في البال ويتحرّك في الأذهان وقد عبّر سبحانه عن ذلك حين خاطب الإنسان[٢] بسم الله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ فهو تعالى قريب للإنسان كقرب الوريد له في جسده فهو يعلم كل ما في داخل هذا الإنسان وما يجول في خاطره.

ممّا ذكرنا أصبح من السهل أدراك كيف أنّ الله يستطيع التحكّم بمصير البشر وبمسير الأمور ومجريات الأحداث، فكما قلنا بأنّ الله يعلم عن كل إنسان ما سيفعل وما سيجري عليه وما سيكون معه فطالما

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة المؤمنون، الآية: ٢٧.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة ق، الآية: ١٦.

أنّ هذا الإنسان هو كالصفحة المكشوفة فبذلك لا يستطيع أن يراوغ ولا أن يخفي نواياه ولا أن يُبقي ما سيفعل ويخطّط سراً على خالقه، فالله أخبر الإنسان عن صفاته[١] هذه فهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾. وزد على ذلك بأنّه سبحانه فاعل قادر له سلطة على أفعال الإنسان وكما بيّنا أنّه يمضي منها ما يشاء ويمنع منها ما يشاء وهذا تفسير قوله سبحانه في القرآن[٢]: بسم الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالله يعلم بنوايا الإنسان وما يريد أن يفعل وهذا واضح في قوله تعالى أيضاً في القرآن[٣] بسم الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

فاعلم أيها الإنسان بأنَّ كل أفعالك وكل وجودك واقع في نطاق قدرة الله ولا يمكن الفرار منه إلى أي مكان وكيف ذلك وهو موجود في كل مكان، ومن هذا يتضّح لك كيف يكون الله الإله الحاكم الفعلي لهذا الكون والذي لا شريك له ولا شبيه له فكل شيء في هذا الكون يسير واقعاً بقدرة الله ومشيئته ووفق حكمته سبحانه وتقديره للبشر فإذا كنت من المؤمنين بالله فستلاحظ من خلال مجريات حياتك كيف أنّ الله معك في كل لحظة وأنّه نصيرك والمساعد لك في الضيق وفي معركتك للخير ضد الشر وأنّه قوة الضعفاء ومربّي الأقوياء في هذه الدنيا على الخير والصلاح فالخير كل الخير هو في معرفة الله والسير وفق قانونه

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة غافر، الآية: ١٩.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة التكوير، الآية: ٢٩.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

ومعه وصلاح الكون يكون مع الحاكم الفعلي لهذا الكون. فإذا كنت قد عرفت بأنّ الله مراقب لك في كل لحظة وأنت أمامه كالصفحة المفتوحة وهو قادر عليك في كل مكان فلا تظن بأنّ مخالفتك للخالق ستمر دون حساب ودون أي رقيب عليك فاسمع الله حين يقول[1]: بسم الله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾. فاغتنم أيها الإنسان حياتك والفرصة ما زالت أمامك قبل أن يأتيك الموت فتقول يا ليتني عرفت خالقي وعندها لا ينفع الندم ولا مجال للعودة والإصلاح، واعلم أنّ الله قادر عليك ومعك في كل لحظة فإذا تركك في طريق الفساد دون أن يتدخّل فإنما هو خذلان لك لأنّه أجّلك إلى يوم الحساب وحذّرك من الآن حين خاطبك في كتابه[2] بسم الله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾، فأين المفرّ من الله في الحياة هو معك في كل مكان وبعد الموت فالمُلك له حيث هناك الحساب.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة القيامة، الآية: ٣٦.

إرادة الله

إرادة الله هي أصل كل شيء وقدرته هي فوق كل شيء:

إرادة الله هي من الصفات التي على أساسها وُجد هذا الكون والتي على أساسها وجدت الحياة فلو لم يُرِد الله لهذا الكون أن يوجد لما كان ليوجد ولما ظهرت الحياة لأي مخلوق على وجه البسيطة، فإذا ما أراد الله شيئاً وهو قادر ولا شيء يستطيع منع تأثير قدرته لأنّه لا إله غيره، أعمَلَ قدرته فيظهر هذا الشيء إلى الوجود. وكما أنّ إرادة الله وقدرته هي أصل الوجود فكذلك هي المؤثرة في استمراره وبقاءه والتأثير على حوادثه فلا يحصل في هذا الكون إلا ما يريد الله سبحانه وكما قلنا فإنّ علم الله الحاضر والمستقبل ناتج عن أنه سبحانه يريد فيعلم بما سيتحقق في المستقبل لأنّه قادر خالق فيحقق ما يريد هو، ولا شيء متروك للصدفة كما يقولون وكما وضّحنا فيما سبق أنّ أحد أدلة وجود الله أنّه لا يعقل أن يكون هذا النظام في الكون ناتج إلا عن قدرة قاصدة عاقلة حكيمة مريدة لما تفعل عن إدراك وحكمة فلا شيء متروك للصدفة، وهكذا استمرار الكون كما خَلقه، ليس متروكاً للصدفة وقد عرفت ذلك بما ذكرنا من تأثير قدرة الله وتحكمه بمصير الأحياء

والجمادات. فالحوادث الحاضرة والمستقبلية التي تحصل في الكون وعند الإنسان إنّما تحصل لأنّ إرادة الله أرادت لها أن تكون وقدرته أثرت فيها فكانت.

اعلم أيضاً أنّ إرادة الله هي بمعنى أنّه حتى لو اجتمعت أسباب الأشياء وعلة تأثيرها فليس لزاماً على الله سبحانه أن يحقق ذلك إذ أنّه سبحانه هو الذي خلق القوانين الطبيعية وهو قادر على إبطالها فإذا لم يرد لها أن تعمل لم تعمل وإذا أراد لها عملت كما في القصة المشهورة في التاريخ عن النبي إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار على يد النمرود أحد الملوك البابليين فلم تحرقه[1] بسم الله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فهنا تأثير النار إنتفى وذلك بقدرة الله عليها وبهذا المعنى الذي ذكرنا فالله سبحانه قادر فهو إن شاء فعل وترَك القوانين التي جعلها تسير وأثَّر على الأشياء وإن شاء لم يفعل. فإنّ الإرادة تلازمها القدرة للتأثير على الأشياء وبهذا لا يخرج شيء عن سلطة الله فقدرته على الأشياء إذا أراد نافذة ولا شيء يستطيع منعها وهكذا تفهم كيف أنّ من صفاته سبحانه أنّه الجبَّار فلا معاند لقدرته ولا ممانع لإرادته وبنفس الوقت فهو الرحيم لأنّ الرحمة من صفات القادر العادل، فإذا كان الله كما عرفنا أنّه مريد وله سلطة على كل الأحياء وعلى الوجود وعلى الإنسان وهو القادر على ما يشاء، أفلا يجب علينا بعدما عرفنا من صفات الألوهية والحاكمية أن نعرف ما يريد الله منّا خاصة ومن البشر عامة وإذا كان الله مراقب لنا قادر على التأثير على أفعالنا أفلا

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

يجب أن نختار الأفعال التي يريدها الله منّا والتي هي كما سنرى أنّها نابعة من رحمة ودراية بمصالح الإنسان وما ينفعه، ونقْبل من خالق هذا الإنسان والعارف بأسراره ما يأمرنا به. وبعدما تأكدنا بأنَّ الله هو المريد لنا ولما ينفعنا والقادر والحكيم والموجود معنا المرشد لنا أفليس الله هو إذاً الحاكم المثالي الذي تبحث عنه في حياتنا. فهكذا أراد الله أن يعرّفنا عن نفسه لنعلم أنّه الحاكم في هذا الكون فهو مريد قادر حكيم موجود معنا وحاكم له السلطة على الكون فإذا أدركنا ذلك فهذا هو معنى الإيمان بالله.

إرادة الله حتمية الوقوع إذا ما أراد:

أصبحنا الآن ندرك معنى الألوهية من خلال ما عرفنا من صفات الله وأنّ كل شيء في الكون من أحياء وجمادات هو كالصفحة المفتوحة أمام الله يتحكّم بمصيرها ومصير الكون من بدء خلقه إلى نهايته، وأنّه سبحانه محيط بكل شيء لا يخلو منه شيء وكل شيء تحت سلطته فكل ما يتحرك في الكون فبعلمه، لا يحتجب عنه شيء في ظلمات البر والبحر وأنّه سبحانه قادر لا معاند لقدرته فهو الحاكم الوحيد لهذا الكون فينتج عن ذلك أنّ إرادته سبحانه حتمية الوقوع إذا لا يمكن لأي كائن أو مخلوق معاندة مشيئته أو أن يقف بوجه إرادته، فالله مهيمن على كل هذا الكون وقد وصفه العارفون به في مناجاتهم له «الحمد لله الذي ليس له منازع في ملكه ولا مضاد له في حكمه ولا شريك له يعاضده، قهر بعزته الأعزاء وفعل بقدرته ما يشاء». فمشيئة الله ماضية

في كل الأمور وذلك أنها كما بيّنا تنضم إلى قدرته فلا يقف بوجهها شيء وإلى هذا أشار سبحانه في القرآن الكريم[(١)] بسم الله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فذلك ينطبق على خلق الأشياء وعلى إبرام قضاءه فيها ومعناها واضح فإنّ أمر الله هو إنفاذ لهذا الأمر لأنّ بيده وجود الأشياء وعدمها ومصيرها والقدرة عليها فلا قدرة في هذا الكون إلا قدرة الله وما من قدرة في الكون لأحد إلا منبثقة عن قدرة الله حتى الإنسان، فالله أعطاه الحياة وقدرة العقل والعضلات فإن شاء ترك الإنسان يفعل وإن شاء تدخّل ومنع وهذا معنى قول الله للإنسان في كتابه[(٢)]: بسم الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

فكل شيء في الكون يخضع لإرادة الله ولحتمية إرادته فكل مخلوق موجود منه وكل قدرة هي تحت سلطته لأنّه هو الذي أعطى القدرة للأشياء فكيف تستطيع معاندة قدرته وهو خالقها وجاعلها فيها؟. فانظر إلى الشمس وقدرة الإحراق التي فيها ولكن منْ أعطاها هذه القدرة أليس الله؟ فكيف تستطيع قدرة إحراقها معاندة قدرة المعطي لها هذه القوة وهكذا أي مخلوق في هذا الكون، فهكذا يتضح كيف أنّ إرادة الله لا معاند لها.

بعد هذا اعلم أنّ قدرة الله مطلقة فهو على كل شيء قدير فخلق هذا

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١١٧.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الكهف، ، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

الكون العظيم هو أوضح مثال والحياة والموت مثال آخر على قدرة الله المطلقة في إيجاد الأشياء وإعدامها وقدرته على الإنسان وعلى الكون واضحة أيضاً من قوله تعالى في كتابه[1] بسم الله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾.

فالله سبحانه هو المبتلي وهو المعافي وبيده الأمان من كل خوف فيا أيها الإنسان والآن وقد انكشفت لك الأمور وبأنّك مراقب من الله وما تفعل من صغيرة وكبيرة فهو يعلمها وهي مدوّنة عنده وأنت تحت إرادته ومشيئته لا تستطيع شيئاً إلا برضاه لأنّ قدرته هي الفاعلة الحقيقية وأنّ قدرتك منه إن شاء فعلت وإن شاء منعك وإن شاء أحياك وإن شاء أماتك، أفلا تعتقد بأنّه قد آن الأوان لتتعرف على هذا الإله العظيم وتطيعه لكي تسعد بمعرفته وطاعته فتكسب رضاه وتنجو من عقابه، فلا تتردّد في ذلك ولا تؤجِّل.

كيف تجتمع إرادة الله مع إرادة الإنسان في الأمور:

قلنا فيما سبق بأنّ إرادة الله حتمية الوقوع وبأنّ للإنسان أيضاً إرادة. وبأن الله يراقب أفعال هذا الإنسان ويحاسبه على أفعاله في الحياة وبعد الموت مع أنّ إرادة الله هي النافذة فوق إرادة الإنسان فكيف يكون ذلك؟. والجواب هو أنّ الإنسان مخلوق مختار تتحكم به قوى الله الخيِّرة كما بيَّنا وإمّا قوى الشيطان الشريرة والتي تدعو الإنسان إلى الفساد وفعل الشر، والإنسان في كل أوقاته مراقَب من الله الموجود في

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٦٨.

كل مكان وفي كل لحظة فهو إذاً يعلم بنواياه وما سيفعل لأنّه سبحانه اختص نفسه بعلم الغيب ويعلم بمصير الإنسان فيستطيع التحكّم به وتقرير مستقبله، فإذا نوى الإنسان عملاً فتكون تلك إرادة الإنسان فيطّلع الله عليها فإذا كان عملاً يرضي الله فيأذن به، فتكون هذه إرادة الله والتي هي الأصل في الأمور لأنّه سبحانه أرادها أن تكون ويكون الإنسان الواسطة لتنفيذها والصورة التي أدت هذا العمل لأنَّ المعطي الحقيقي لحياة الإنسان وقوته هو الله، وقدرة الروح والنفس والجسد مصدرها قدرة الله سبحانه وهذا ما أشار إليه الفلاسفة والحكماء فيما سبق. وأوضح مثال لذلك هو عمل الأنبياء عليهم السلام فمن السذاجة القول بأنّهم كانوا يتصرفون باستقلالية عن الخالق سبحانه بل هم واسطة لله كما السيد المسيح الذي كان يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص وكان يقول عليه السلام باذن الله أحيي الموتى، والقدرة الحقيقية والفاعل الحقيقي هو الله.

أمّا إذا كان هذا العمل لا يرضي الله، وعَلِم الله بما في نوايا الإنسان فالله إما يترك هذا الإنسان يقوم بهذا الفعل ولكن يعاقبه عليه في الدنيا وبعد الموت وإمّا يمنعه عن هذا الفعل بقدرته كأنّ يضرب يد القاتل ويسقط السلاح من يده وذلك سهل يسير على من تدور الأرض بقدرته، أو يبطل نتائج هذا الفعل ويلغي مفعوله بأن يتحكّم بمجرياته وظروفه وقد أخبر سبحانه عن قدرته هذه في القرآن بقوله[1]: بسم الله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ وهو كلام

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الطارق، الآيات: ١٥، ١٧.

واضح موجه إلى من يكفر بالله وبأنّه مهما يدبّر من تدبير فإنَّ إرادة الله وتدبيره تقديره هو فوق تدبير أي مخلوق في هذا الكون، لا بل أنّ الله قادر على إبطال حتى القوانين الطبيعية في هذا الكون كما في الأحوال التي نصر الله فيها أنبياءه بالمعجزات، وكلنا يعلم معجزة إبطال إحراق النار للنبي إبراهيم عليه السلام [(١)] بسم الله: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وبذلك كانت إرادة الله وقدرته فوق إرادة الملك البابلي الذي أشعل النار وأراد إحراق النبي إبراهيم عليه السلام. فاعلم أنّ كل ما في هذا الكون يسير على هذا المبدأ وهذا معنى خطاب الله للبشر بسم الله[(٢)]: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

لكن يبقى استفهام أنّه لماذا يأذن الله بفعل الشر ونرى الظلم يسود في الأرض والقوة تتحكم في حياة الناس؟. فاعلم أنّ الله سبحانه قد خلق الإنسان وأهبطه إلى هذه الأرض بهدف اختباره وامتحان طاعته لخالقه وليرى الله من يطيعه ومن يعصيه، والمفترض أن يترك الخالق عباده يمرّون في هذا الإختيار دون التدخل في أفعالهم لينجح منْ ينجح بنفسه وليسقط من يسقط بنفسه أيضاً فلا يكون له حجة على خالقه عند الحساب بعد الموت لأنّه يكون قد ارتكب أفعاله بإرادته هو فيلقى جزاءه وهذا معنى عدل الله تعالى وموافق له. هذا بالنسبة للأفراد ومصيرهم أمّا بالنسبة لمصير البشرية فالمقادير تسير تبعاً لحكمة الله في الأمور فإذا أراد الله أن يتدخل فهذا شأنه فالملكُ ملكه وإن شاء ترك الأمور تجري، ولكن على مبدأ العقاب لمن عصى والثواب لمنْ

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة التكوير، الآية: ٢٩.

أطاع، والتدخل الإلهي في سير أمور البشرية واضح جلي في فترات بعثات الأنبياء عليهم السلام وآخرها انتقال أمة بأكملها من حياة الصحراء إلى حضارة راقية وهي الإسلام على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان لها تأثير كبير على أمم أخرى أدّت عندها إلى تحسن في البناء الاجتماعي وفي العادات الاجتماعية لهذه الأمم وتوجيهها نحو مبادىء الصلاح.

وإعلم أيضاً أن مواجهة الظلم والطغيان في الأفراد والأمم يكون بالعودة إلى طاعة الله سبحانه بعدما عرفت من وجود الله مع كل إنسان وقدرته على البشر فإذا أطاع الإنسان الله كان الله هو المعين له في حياته وفي أفعاله وهو المنير الطريق أمامه لأنّنا قد أشرنا إلى أنّ الله يتحكم بمصائر الناس ويعينهم بقدرته ولأنّه حقاً على الله أن يعين منْ يؤمن به وبقدرته، فاسمع خطاب الله للبشر وهو يخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله[1]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فالنجاح في الإختبار الدنيوي في هذه الحياة وفي الآخرة لا يكون إلا بالإيمان بالله وطاعته ومواجهة الظلم يكون بالاستعانة بالخالق فإرادة الله وقدرته هي فوق إرادة وقدرة أي مخلوق وإلى هذا أشار أوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم: «الخير من الله والشر باذن الله»[2] فهو سبحانه قادر على دفع الشر بقدرته.

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٢) المصدر: نهج البلاغة لمحمد عبده.

مسألة مهمة أخرى: إذا كانت إرادة الله حتمية الوقوع فما معنى أن لا تتحقق أوامر الله للبشر:

الجواب أنّ الصحيح والأكيد أنّ إرادة الله هي حتمية الوقوع وهذا يظهر جلياً في إرادة الله في خلق هذا الكون وسيره. كما يوضح سبحانه في قرآنه بقوله[1] بسم الله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فإرادة الله أن تسير الكواكب في أفلاك على نظام دقيق ولا شيء يمكن أن يؤثر على إرادته هذه، وهذا من أسباب وأسرار انتظام سير هذا الكون، لوجود إله واحد لا شريك له ولا معاند له فلا إرادة إلا إرادته ولا مشيئة إلا مشيئته فالأمور الطبيعية التكوينية خاضعة لإرادة الله ومشيئته فهي حتمية الوقوع. ومثال ذلك ما ذكرناه سابقاً في الكلام عن إرادة الله من منع إحراق النار للنبي إبراهيم فإرادة الله هي أن لا تحرق النار وأن تلغي تأثيرها التكويني وإرادة الله ظاهرة أيضاً في مصير الأمم واستمرارها وزوالها بسم الله[2]: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فاستمرار الأمم وزوالها هو بإرادة الله وقدرته وتقديره لها فالأمور التكوينية هي خاضعة لإرادة الله الحتمية.

أمّا فيما يتعلق بالإنسان فقد خلقه الله ليكون مخيراً في أفعاله وجعل له العقل هذه القدرة المفكرة التي تسمح له بالتمييز بين الحق والباطل والخير والشر وكما ذكرنا أنه جعله في امتحان واختبار على هذه

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة ياسين، الآية: ٤٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

الأرض وهذا هو سر خلقه ووجوده في هذه الحياة، ومن طبيعة هذا الإمتحان أن يكون الإنسان مختاراً يختار بإرادته الطاعة أو المعصية ولكن كما قلنا دون أن يخرج هذا الإنسان عن قدرة الله ودون أن يجبره على أفعاله في نفس الوقت. فاعلم لذلك بأنّ تدخل الله في أفعال البشر هو رحمة لهم وخاصة لمن سعى إلى معرفة ربه واستعان بقدرته بعد أن آمن بوجوده، فمبدأ الإمتحان الإلهي إذاً هو العدل «بالإثابة على الطاعة والعقاب على المعصية» والله في هذا الإمتحان يعين من استعان به ويخذل من لم يؤمن به وأنكر وجوده. أمّا من قال بأنّ الله الخالق ليس له تدخل في أفعال البشر وأنّه ترك للإنسان تدبير أمره والاستقلال بأفعاله فهذا غير صحيح وإذا أردت أن تختبر ذلك فاسأل أهل الإيمان فيخبرونك عن تجليات التدخل الإلهي في حياتهم.

إذاً فالإنسان مخيَّر وهو في امتحان على مبدأ العدل وقد أمره الخالق بأوامر، وأمر الله هو إرادته سبحانه، ولكن إعلم «بأنّ الإنسان المخيَّر في أفعاله المراقَب من خالقه إمّا أن يحقق الشروط اللازمة والمقدمات لتحقيق هذه الأوامر التي هي إرادة الله فتكون عندها إرادة الله حتمية الوقوع وتتحقق هذه الأوامر وإمّا أن يعصي هذا الإنسان ويخالف فلا يحقق شروط ومقدمات الإرادة الإلهية فلا تتحقق هذه الأوامر، فالمسألة ككل أمر طبيعي لا يتحقق لعدم تحقق شروطه ومقدماته».

وهكذا إرادة الله التي هي لمصلحة الإنسان ونفعه فمع عدم تحقيق هذه الإرادة بعدم تحقيق شروطها ومقدماتها إنما يكون الإنسان قد عمل خلاف مصلحته وهذا هو سبب ما نراه منتشراً من ظلم وفساد وشر، وما كتاب الله إلا الحاوي لهذه الشروط والقوانين التي لو حققها

الإنسان لوصل إلى سعادته ولعمّ الخير في المجتمع ولامتنع الظلم ولأصبح للحياة معنى، أمّا مع عدم الإهتمام بتلك الشروط والقوانين لحياة المجتمع والداعية إلى القيم والخير والصلاح فستتفاقم أمراض المجتمع كالمريض الذي لا يتبع شروط العلاج وستؤدي في النهاية إلى موت هذا المجتمع.

فاعلم إذاً أيها الإنسان أنّ الأوامر التي أمرها الله إنما هي لصالح الإنسان والبشرية ولتحقيق العدل ولبناء المجتمع السليم وقد حذرك ممّا يهدم هذا المجتمع، واعلم أنّه سبحانه أرأف بالإنسان من الأب على ابنه إذ يريد مصلحته وما ينفعه وما ينجيه وإذا كانت طاعة الأب في هذه الحال واجبة فكيف بطاعة الخالق وهو الأولى بالطاعة لأنّه صاحب كل النعم علينا.



قدرة الله

قدرة الله مطلقة وهي فوق قدرات البشر ولو اجتمعوا:

يحتوي معنى الألوهية على صفات يجب أن يتصف بها الإله، وأول هذه الصفات أنّه يجب أن يكون متفوقاً بالمطلق على كل ما هو موجود وممكن أن يوجد بالقدرة التي يتصف بها، وقد عرفت بعض من ذلك فإرادة الله هي فوق إرادة كل المخلوقات والسماوات والأرض والكواكب، وعلمه يسع كل شيء فحتى علوم البشر هي بعلمه وإشرافه «كما في مثال تعليم الله نوح عليه السلام صنع السفينة التي أقلّته في الطوفان وكانت من الكبر بحيث كانت تعد من السفن الضخمة في زمنه». فإذا كان الإنسان هو العقل المسيِّر في هذه الحياة فالله سبحانه هو العقل المركزي للكون المسيِّر والمدبِّر والموحي للعقل البشري والدليل هو سير هذا الكون المنتظم منذ ملايين السنين بلا خلل ولا خطأ فحتى التغييرات التي حصلت في الأرض كانت بتدبير ومراقبة، ثمّ خلق جسم الإنسان وعمله العجيب المتناسق وخلق العقل وقدرته المفكِّرة المبدعة فهي من إبداع الخالق الإله فإذا كان العقل بهذا الإبداع فكيف بمبدع العقل وإذا كان عمل جسم الإنسان يبهر الباحث

فكيف بخالقه ألا يدعو الباحث أكثر للإتصال بالقدرة المطلقة التي خلقت كل ذلك. وقد بحثنا في ذلك في الكتاب السابق عندما قلنا بأنّه لا يمكن إلا لقدرة مفكِّرة قاصدة عظيمة الذكاء أن تصنع كل ذلك ولا يمكن للمصنوع أن يكون أفضل من صانعه وهذا يدل على أن الصانع ذو قدرة مطلقة وتفوّق مطلق وهذا ما جعله إلهاً.

عرفت أيضاً أنّ الله مع كل شيء يعلم كل شيء في الكون في نفس اللحظة فالله سبحانه يستطيع الإهتمام بكل شؤون المخلوقات في هذا الكون الشاسع في نفس اللحظة دون أن يصيبه التعب ولا السهو ولا النسيان فهذا هو الإله وهذا هو المدبِّر الذي لا يمكن تصوّر أن تصل العلماء مجتمعة إلى هكذا إنجاز في التدبير على مستوى الكون والمجرّات ولا أحدث الحواسيب تستطيع إحصاء وتنظيم ذلك وكيف وهم لا يقدرون على تنفيذ جزء بسيط من ذلك، لأنّ الله هو الذي يملك القدرة الفاعلة المطلقة في هذا الكون ولا يمتلكها غيره فهذا هو الإله صاحب السيطرة المطلقة على الكون الذي عنده علم الماضي والحاضر وما سيكون فهو قادر على السيطرة على الأمم التي ستكون وعلى ما سيحدث. ولا غرابة في ذلك فهو خالق كل شيء وهو الفاعل لما يريد الذي لا يستطيع شيء أن يعانده في هذا الكون وهو المالك لعلم الغيب الذي لا يملكه أحد في الوجود فهو المهيمن لذلك بالمطلق وهذا معنى الإله الذي لا شريك له والذي ليس هناك قدرة تستطيع مواجهة قدرته. ثمَّ إعلم أنّ قدرة الله هي التي تتحكّم بالظواهر الطبيعية وتنشئها وقد أخبرنا سبحانه بذلك ليظهر قدرته وسيطرته بقوله في

القرآن[١] بسم الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ فالأرض أنّما تزلزل بأمر الله وقدرته والريح بأمره أيضاً[٢]: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. فهنا إحدى الأمم التي أهلكها الله بتسخير الريح عليهم بأمره وقدرته وكانت توجد عاد في الجزيرة العربية، وكذلك القدرة على الكواكب والسماء[٣]: ﴿ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ فخلق الكواكب زينة للناس وحفظ السماء من الشياطين التي هي مسكن الملائكة هو بشكل واضح بقدرة الله وكل الظواهر الطبيعية كذلك بلا إستثناء وكل ذلك ليس إلا تعبير عن هيمنة الخالق وسيطرته على هذا الكون وما يجري فيه من الصغيرة حتى الكبيرة كما في البرق أيضاً حين يقول سبحانه[٤] بسم الله: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فالبرق هو بيد الله يريه للإنسان ليؤمن به ويثبت له قدرته فيخافه لقوته وكما في الخسف للأرض[٥] بسم الله ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وكما في هطول المطر ثم بسم الله[٦] ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أو إرسال الصواعق[٧] بسم الله:

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآيات: ١-٥.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآية: ٥.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الحجر، الآيتان: ١٦، ١٧.
(٤) المصدر: القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: ٢٤.
(٥) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الإسراء، الآية: ٦٨.
(٦) المصدر: القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية: ٩.
(٧) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الرعد، الآية: ١٣.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.

بالموت والحياة ونفخ الروح تتجلّى قدرة الله:

فما ذكرنا هي قدرة الله من جهة القوة التي يستطيع الله إظهارها عن طريق إنشاءه للظواهر الطبيعية العاصية على الإنسان ولكن قدرة الله تتجلى أكثر في خلق الأشياء التي يقف أمامها الإنسان عاجزاً خاضعاً لها وهي تجلّي الموت والحياة ونفخ الروح في الإنسان فبدونها لا حركة له ولا وجود، فكيف يستطيع الإنسان دفع الموت ومعاندة قدرة خالقه عليه وكيف يستطيع إعطاء الحياة وهو لا يستطيع حتى فهم ما هي الروح ومن أين تأتي وكيف تستقر في الجنين في أول لحظة من حياته، فيقف عندها عاجزاً أمام قدرة الخالق حين يعلم أنّه هو الذي ينفخ الحياة في هذا الجنين ويضع فيه الروح دون أن يشعر أحد حتى الأم التي تحمله. فإذا عرفنا ذلك أفلا يجب أن نخضع لهذا الإله ونؤمن به وهو القادر على إيجادنا وزوالنا وهو المسيطر على شمسنا وهوائنا وأرضنا وسمائنا، فأين المفر من قدرة الله بعدما عرفت وإذا كنت تشك في خالقية هذا الإله وأنّه هو الفاعل وهو المؤثر في حياة الإنسان فإنّ معجزة السيد المسيح عليه السلام مشهورة في التاريخ ولا أحد ينكرها وهي أنّه كان يحيي الموتى بقدرة الله لكي تؤمن الناس بخالقها وتعرف قدرته وقد ذُكرت في القرآن الكريم[1] على لسان عيسى عليه السلام بسم الله:

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وكذلك معجزة النبي موسى عليه السلام حين ألقى عصاه فتحولت إلى حية بقدرة الله وهي أيضاً مشهورة في التاريخ ومذكورة في القرآن الكريم[١]: بسم الله قلنا ألقِها: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ فعندها آمن السحرة الذين كانوا يشكّون بالله ولا يعرفون صفاته وقدرته. والآن وقد عرفنا قدرة الله أفلا يجب أن نؤمن به كما فعل سحرة فرعون ونطيعه ونسير وفق قوانينه؟ وإذا كنت ما زلت تشك أيضاً بقدرة الله فاعلم أنّها تجلّت أكثر ما تجلّت حين مقارعة الله لطواغيت الأرض والأمم التي لم تؤمن به فالتاريخ يتحدث عن ذلك حيث لم تبقى لهم باقية ولا أثر كفرعون وجنوده حين شق الله البحر لبني إسرائيل فمروا ولمّا تبعهم فرعون وجنوده أغرقهم الله عن آخرهم[٢]: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ فهل من شك بعد ذلك بقدرة الله وقوته.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة طه، الآية: ٢٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٥٠.

ذات الله ووحدانيته فلا إله غيره

ذات الله واحدة لا تتألف من أجزاء ولا مركّبة:

عند التكلم عن صفات الله تعالى فلا بد من الرجوع إلى ما قاله الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لأنّه لا يمكن لأحد معرفة كنه وصفات الله إلا العارفين به الذين أمضوا حياتهم في طاعته والإخلاص في عبادته حتى انكشفت لهم الحجب وأطلعهم رب العزة على أسراره وحدَّثهم عن نفسه، فمن هؤلاء أمير المؤمنين ووصي نبي الإسلام محمد الإمام علي بن أبي طالب عليه وعلى النبي السلام فيقول في وصف الله[1] «**من جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد عدّه ومن عدّه فقد حدّه**»، فيفهم من هذه الكلمات معانٍ عميقة وهي بأنّ الله واحد بمعنى أنّ جوهره وحدة متكاملة ليس لها أجزاء ونحن نعرف أنّ الوحدة هي من صفات الكمال والقوة والتجزء من صفات النقص وبعد أن عرفنا بأنّ قدرة الله مطلقة فنعرف أنّ وحدة الذات الإلهية هي من مصادر هذه القدرة المطلقة. فيفسّر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوحدانية لله بأنّ القول بالتجزء هو جهل بالله فإذا كان هناك أجزاء فهناك تعداد لها

(١) المصدر: نهج البلاغة، للشيخ محمد عبده.

والتعداد هو صفة للأشياء التي لها حدود وقد بيّنا فيما سبق بأنّ الله لا حدود لذاته فهو موجود وِسع هذا الكون وامتداده لا يخلو منه شيء ولا مكان، إذاً فالذات الإلهية وحدة موحدة لا أجزاء لها فلا تعدّ لا هي ولا مع غيرها فالله هو كما وصفه حفيد علي بن أبي طالب جعفر الصادق عليه السلام: «واحد لا عن عدد»[1] **فهو واحد موحّد لا حدود له فلا عدد بعده فهو لا يعدّ ولا يحد وهو ملىء الكون وأبعد منه فلا يشار إليه في مكان فتكون قد حددته فيه فإذا أردت أن تشير إليه سبحانه فتقول الله هو الوجود لأنّه والوجود لا ينفكان وكيف لا يكون ذلك والوجود مخلوق وصادر عنه ومستمر به.**

فإذا فهمنا بأنّ ذات الله وجوهره واحد لا يتجزأ عرفنا كيف أنّه سبحانه يعلم ويسمع ويبصر كل شيء في الكون في الأمكنة المتباعدة في وقت واحدة فالسر في ذلك هو وحدة الذات الإلهية التي لا يخلو منها مكان فصفة العلم والسمع والإبصار هي لهذه الذات الواحدة التي تسع كل الوجود وتسمع وتبصر كل شيء في نفس الوقت في كل الوجود لأنّ وجودها ممتد امتداد هذا الوجود وحدودها هو الكون بأجمعه، ونفهم من ذلك أيضاً كيف أنّ الله كما وصفه الأوصياء عليهم السلام لا يشغله فعل شيء عن فعل شيء آخر في هذا الكون الواسع ونفهم كيف أنّ الله يدبّر هذا الكون الشاسع في نفس اللحظة فهو حقاً الإله الواحد لهذا الكون الخالق الصانع له والمدبّر له وسبب نظامه واستمرار هذا النظام، فهو فاعل كوحدة موحّدة تغطي الكون بأجمعه.

لنفهم أكثر طبيعة الذات الإلهية فاعلم أنّ الأجزاء هي من صفات

المادة التي من خصائصها التركيب والتغيّر وكما قلنا في الجزء الأول من الكتاب الأول أنّها من صفات النقص، أمّا الله سبحانه فليس بمادة وكما شبهناه بالنور فانظر هل ترى للنور حين يسطع أجزاء وهل يسطع على دفعات؟ كلا، إذاً فالله كالنور الساطع لا أجزاء له ولا يسطع على دفعات بل وجوده متجلّي دفعة واحدة دون أجزاء ولا تركيب ولا مادة يتألف منها ليحتاج إلى التجزء والتركيب والشكل، وهذا من الأسباب التي حاول الله المتعالي عن الصفات أن يبيّنها لنبيه موسى عليه السلام حين طلب النبي رؤيته بقوله سبحانه: بسم الله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[1] ليقول له بأنّني لست وجوداً مادياً لتستطيع رؤيتي وبالتالي فليس له سبحانه أجزاء ولا مركّب فلا شكل له ولا حدود فلذلك استحال عليه رؤيته.

لو لم يكن الله واحداً لرأيت الخلل في الكون:

قلنا بأنّ وحدة الذات الإلهية هي من تجليّات القوة والكمال في الصفات الإلهية لأنّها حين التأثير على هذا الكون لا يتخلف جزء أو قسم عن هذا التأثير في جهة من جهات الكون بل التأثير والفعل يكون تاماً عاماً شاملاً لكل جهات هذا الكون وبنفس القوة وذلك لأنّ الذات الإلهية واحدة بلا أقسام أو أجزاء. فانظر إلى خلق الله فلا ترى اختلافاً فلو كانت هناك أجزاء تؤثر كل لوحدها لرأيت أن الخلق مثلاً أتم وأكمل في جزء من الأرض دون جزء آخر نتيجة تفاوت هذه الذات أو ضعف في الأجزاء وأنّ خلق الإنسان أكمل في مكان دون مكان،

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ولرأيت مثلاً أن الطبيعة منتظمة في جزء من الأرض دون جزء آخر ولكننا لا نرى ذلك بل نرى الإنتظام في كل الكون دون استثناء. «ولنفترض أنّ لوحدة النظام في الكون التي هي دليل على وحدانية الله بأنّه ليس كذلك بل ذات تتألف من أجزاء ولكن هناك من ينسق حركتها مع بعضها فنعود إلى نفس المفهوم بأنّ هناك ضرورة لوجود واحد موحَّد ينسِّق حركة هذه الأجزاء فنصل إلى نفس النتيجة بأنّ الذات الإلهية واحدة موحّدة تؤثر بنفس الأسلوب وبنفس القوة على الكون بأكمله».

ثمّ «لو كانت هناك أجزاء بغياب واحد موحّد مؤثّر لرأيت ولو في بعض الأوقات التعارض والتنافر في التأثير لهذه الأجزاء ممّا ينتج عنه اختلال في مسير هذا الكون» ولو لفترة ونحن لمْ نرى ولا نرى ذلك وهذا دليل على أنّ المسيّر للكون هو واحد بوحدة واحدة ولو كان هناك أجزاء فالأجزاء بحاجة إلى اتصال دائم بينها قد يؤدي إلى خلل في بعض الأوقات للخلل في الاتصال والتنسيق وهذا ما لا نراه فذات الله واحدة ليست بحاجة لأي اتصال بينها ولا تنسيق وهذا مصدر لقوة التأثير الإلهي ولقدرة الله المطلقة فهذا هو الله الإله الواحد فذاته وطبيعته واحدة على امتداد هذا الكون فلا يخلو منه شيء في الكون ولكن دون حلول في الأشياء ولا إتحاد معها بل مؤثّر فيها مسيِّر لها.

الله لا إله غيره ولا شريك له ولا معين يعينه:

بدأت صفات الألوهية تتضح لك فالله سبحانه هو صاحب القدرة المطلقة التي لا يقف أمامها شيء وإرادته هي فوق إرادة أي مخلوق فهو يحيط بكل أحداث الكون من الصغيرة إلى الكبيرة فعلمه يحيط بكل ما في الكون حتى بما في نفوس البشر، ويعلم الحاضر والمستقبل من بدء الخلق إلى نهايته وهو يصنع المستقبل كيف يشاء فهو سبحانه يسمع ويبصر كل حركة في الوجود في نفس الوقت ولا يصيبه السهو ولا الخطأ ولا يتعب ولا ينام فلهذا كله فالله هو الإله لهذا الكون. فتحصَّل ممّا ذكرنا بأنّ الله صاحب القدرة المطلقة ولهذه الصفات الكمالية الخالقية فهو سبحانه ليس بحاجة لمن يعينه على إدارة هذا الكون لأنّ صاحب الكمال المطلق الذي ليس فيه نقص ليس بحاجة لمن يعوضه هذا النقص فهو بالتالي غنيّ عن أن يكون له مساعداً ومعين، وطالما أنّه تعالى سبحانه لا يعرف الخطأ والسهو فهو ليس بحاجة أيضاً لمن يراقب معه ويعينه على حساباته للأمور والمسائل الخاصة بهذا الكون، وكذلك فالله بما أنّه هو الحكيم وحكمته مطلقة وبصيرته نافذة يرى حتى نهاية الكون ويعلم أسرار خلقه وكل ما يتعلق بهم فهو ليس بحاجة إلى وزير يستشيره أو يشير إليه برأي لأنّ الله هو الذي يضع الأقدار للمخلوقات وللكون فليس بحاجة إلى مَنْ يساعده في رؤية مصير الأمور وما يخفى منها فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء.

ثمّ إنّك عرفت بأنّ إرادة الله هي النافذة ولا إرادة مع إرادته فلا ينفع وجود أي شريك معه إذ يكون بمنزلة المعدوم لأنّ قدرة الله مطلقة وهي المؤثرة الفاعلة المهيمنة على الكون ولا تستطيع مواجهتها أي قدرة

فهو ليس بحاجة لمن يعاضده ولا لمن يعينه على معانديه أو يعينه على تنفيذ ما يريد، وقد عرفت أيضاً بأنّ الله هو القوي بالمطلق إذ لا قوة موجودة مع قوته ولو وجِدت فهي كالمعدومة إذ كل القوى في الكون تستمد قوتها من قوته فلذلك فليس بحاجة لمن يؤازره ولا لمساعد له يرفده وذلك لأنّه إنّما يحتاج الضعيف إلى المؤازرة والذي لا يستطيع إنفاذ أمره بمفرده والله سبحانه تعالى عن صفات الضعف والنقص وإلا لاختلَّ الكون، وأيضاً عرفت بأن الله يكون استمرار المخلوقات والكون بوجوده فهو مؤثِّر عليها.

فأعلم بأنّه ليس هناك شيء يؤثِّر عليه سبحانه إذاً فكل شيء بحاجة له وهو ليس بحاجة لشيء ولا لمخلوق وبالتالي لا لشريك ولا لمعين يعينه على وجوده واستمراره، فكما قلنا بأنّ الله وجوده من نفسه فليس هناك من أوجده واستمراره بنفسه فليس بحاجة لأحد ليضمن له هذا الاستمرار فالله هو الغني عن خلقه وكل شيء بحاجة له وخاصة أنت أيها الإنسان بعدما عرفت بأنّ الله هو المؤثِّر على حياتك ومصيرك وقدَرك وعلى استمرارك وهو المحقق لسعادتك. فهل آمنت بالله بعد كل ما عرفت، فاسمع أيها الإنسان خطاب الله إليك بسم الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]. ثمَّ إنّ كل مخلوق في هذا الوجود ليس من أهليته أن يكون وحيداً فهو بحاجة إلى غيره، أمّا الله فعرفت بأنّه غير كل شيء فليس بحاجة إلى من يؤنسه فهو لا يستوحش في وحدانيته، وليس له صاحب ليسليه أو يحادثه أو يهتم

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة فاطر، الآية: ١٥.

بشؤونه فهو قائم بنفسه ليس بحاجة لأحد ولا شيء لاستمرار وجوده وهو لا صاحبة له ولا ولد ليشاركه في ألوهيته أو يتقاسمها معه فوجود الله مستمر لا يتبدّل ولا يتغيَّر فلا يضعف ولا يهرم ولا يصيبه الخلل، لا يزداد ولا ينقص فكما بيّنا بأنّ الزيادة والنقصان والضعف هي من صفات الأشياء ولذلك فهي تفنى، فإذا كان هناك صاحب لله فهو هذا الوجود الذي يصحب الله لأنّه باق ببقائه. إذاً أيها الإنسان فمنْ ستختار آلهة الأرض المحتاجة إلى غيرها في أبسط أمورها أم الله الإله الواحد الأحد الذي لا يحتاج إلى أحد والكل بحاجة إليه حتى أنت، فتفكَّر قليلاً بعدما عرفت حقيقة الله واختر أصل وجودك وبقاءك والممسك بمصيرك وقدرَك ولا تتبع السُبل المنحرفة والآراء الفاسدة التي لا تزيدك إلا ضياعاً.

مسألة مهمة «لو كان هناك آلهة غير الله لاختل الكون»:

يتحدث الله في القرآن الكريم عن السماوات والأرض بعد الحديث عن الكيفية التي بها خلقهما، ثمّ يخاطب الإنسان ليقول له بأنّه لا إله غيره ويعطيه الدليل على ذلك لأنّ الله خلق العقل ويعلم بأنّ البرهان هو طريق إلى إقناع هذا العقل للوصول إلى حقيقة وجود الله فيقول سبحانه[1] بسم الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي السماوات والأرض، فالمقصود أنّه من طبيعة الإله أنّه متفرِّد في الإرادة وفي الهيمنة على ملكه فلو كان هناك آلهة لهذا الكون لكان كل إله يريد أن

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

يفرض إرادته وهيمنته عليه ليفرض وجوده ويثبت ألوهيته فمن صفات الإله التفوق والقدرة المطلقة إذ بدونها لا يكون إلهاً. فعندها ينشأ الصراع للسيطرة والبروز والهيمنة وكلما كان هذا الصراع شديداً كلما كان الخراب والدمار كبيراً كما نرى في صراعات الأمم البعيدة عن مصالح الإنسان وعن القيم، فينتج عن صراع الآلهة هذا خراب ودمار هذا الكون ولو جزئياً، ولكنّ ذلك لم يحصل ولم يتحدث التاريخ عن ذلك فمنذ الأزل نعلم أن النظام الكوني يسير بشكل دقيق منتظم لا خلل فيه ولا خطأ في سيره وسبب ذلك هو وحدة الإدارة لهذا الكون ووحدة التدبير، وما خلق الإنسان المتناسق والمتشابه في الأرض سوى بعض الخصوصيات لكل قوم إلا دليل على وحدة الخالق والصانع والمدبِّر، فكما رأينا بأنّ وحدة وجود الله هي سبب في هذا الإنتظام كذلك أنّه لا إله غيره، هو سبب لذلك أيضاً وهذا يدل على أنّ الوحدانية لا تنفك عن صفات الألوهية ولذلك وصف الله نفسه بأنّه واحد أحد[١]. بسم الله﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

يتابع الله بطريقة البرهان والدليل على أنّه لا إله غيره وأنّه لو كان هناك إله غيره فماذا كان سيحصل، فيقول مخاطباً الإنسان في القرآن الكريم[٢] بسم الله: ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ وهذا ما نراه في صراع الأمم حيث نرى أنّ الأمم تنقسم إلى معسكرات وكل معسكر قد نصَّب عليه رئيساً ويأخذ معه قسم من الدول ومنْ فيها وبعدها تدب الحروب

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة التوحيد، الآيتان: ١، ٢.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

بينها. أمّا في خلق الله فلا نجد ذلك فلا السماء أصبحت سماوات على كل منها إله يدعي خلقها، ولا الشمس سيطر عليها إله والقمر إله آخر، بل كل هذا الوجود يسيطر عليه إله واحد هو الله فتراه متناسقاً لا صراعات في سير نظامه بل نظام دقيق يدل على أن المدبِّر والمسيِّر واحد.

أمّا علي بن أبي طالب وصي رسول الإسلام والعارف بالله فيوصي ابنه الحسن عليه السلام ليرشده عليه السلام إلى وحدانية الله وأيضاً بالدليل والبرهان فيقول له: «**إعلم أنه لو كان لربِّك شريك لأتتك رسله**»[1] فنحن نجد من خلال استقراء التاريخ الذي بين أيدينا بأنّ كل الأنبياء والرسل الذين أتوا وعاشوا على هذه الأرض ورغم الأزمنة المتباعدة بينهم والتي تمتد إلى آلاف السنين ورغم اختلاف الأمكنة التي عاشوا فيها واختلاف مستوى التقبل الفكري للشعوب التي عاصروها، ولكنهم دعوا إلى عبادة نفس الإله الواحد وأعطوا الأدلة على أنهم مرسلون من قبل نفس هذا الإله وأعطوه نفس الصفات حتى أصبحت كثوابت في تعريفه والإخبار عنه. ثمَّ أنّ هؤلاء الأنبياء دعوا إلى نفس المبادىء، وكان لهم نفس الأسلوب في الدعوة إلى الله حتى أنّه كان كل نبي يبشِّر بالنبي الذي سيأتي من بعده ليكملوا رسالة السماء إلى البشر وهذا دليل على أنَّ مرسل الأنبياء وواضع المبادىء للبشر هو إله واحد وذلك للاجتماع على نفس المبادىء والدعوة إلى عبادة الله الإله الواحد، فلم نرى نبياً دعى إلى غير ذلك وهذا كلام التاريخ وشهادة

(١) المصدر: نهج البلاغة لمحمد عبده.

المؤرخين تثبت ذلك. فهل يمكن لكل هؤلاء النبيين عليهم السلام أن يخترعوا مبدءاً ويتخيلوا إلهاً واحداً على مر التاريخ الطويل، فذلك لا يقول به عاقل ولا باحث عن الحقيقة.

دليل علماء المنطق على وحدانية الله:

علماء المنطق استدلوا أيضاً على أنّ الخالق لا يمكن إلا أن يكون واحداً فقالوا بأنّه لا يمكن اجتماع علتين تامتين على موضوع واحد والعلة التامة هي بمعنى أن تكون هي المؤثر الأساسي والتام على هذا الشيء فالاحتراق هو العلة التامة للنار أي لوجود النار والذي هو تفاعل كيميائي لعدة عناصر مع بعضها فإذا لم يكن هناك احتراق فلا يمكن أن توجد النار ولا شيء آخر غير الإحتراق هذا التفاعل الكميائي بين العناصر ممكن أن يسبب النار، والاحتراق هو العلة التامة لوجود النار فعلة وجود الشيء لا يمكن إلا أن تكون شيئاً واحداً إذا كانت علة تامة. فإذا افترضنا بأنّ الله ليس هو العلة التامة للوجود وقلنا بأنّ هناك منْ يشاركه في إيجاد هذا الوجود فهذا يعني بأنّه غير قادر على الإيجاد لوحده وأنَّ قدرته غير مطلقة وهذه صفة نقص فنصل إلى نتيجة بأنّ هذا الناقص المحتاج ليس إلهاً لإنعدام صفات الإله فيه فالمفترض إذاً في مفهوم الإله أن يكون قادراً بالمطلق غير محتاج لغيره ليكون العلة التامة لهذا الوجود. فيجب أن تكون إذاً هذه القدرة إلهاً واحداً قادراً غير محتاج لغيره وهو الله الذي أخبر عنه الأنبياء عليهم السلام.

إذاً يظهر مما ذكرنا بأنّ الوجود هو الموضوع وأنّ الخالق هو العلة

التامة لهذا الموضوع، وإذا كان هو العلة التامة للوجود فقد قال علماء الكلام بأنّه لو كان هناك علة تامة أخرى لاختل الموضوع الذي هو الوجود لأنّه لو كانت إحدى العلتين التامتين مصدراً لصفة مضادة لصفة أوجدتها العلة الأخرى لامتنع ذلك لامتناع اجتماع الضدين في شيء واحد ولوقع التنافر ثمَّ يؤدي إلى خراب هذا الشيء إذاً فلا بد أن يكون الخالق العلة التامة للأشياء واحد وإلا لاختلّ هذا الوجود ولوقع التنافر، وواقع هذا الوجود يثبت ذلك فالوجود لا يقوم على الصفات المتضادة بل يقوم على التآلف والتناسق والتكامل وذلك لأنّ علته التامة هي واحدة وهو الله، فلا علة تامة غيره وإلا لأدّى إلى أنّ كل علة تريد فرض صفاتها وتأثيرها وأن تثبت نفسها كعلة للوجود. فالنتيجة وبدليل العقل أنّه لا بدّ أن يكون الخالق واحداً ولا بدّ أن يكون إلهاً واحداً ليس معه شريك وهو ما أكّده الأنبياء والرسل عليهم السلام فتطابق حكم العقل مع قول الرسل، أفليس ذلك بدليل لكل عاقل مفكِّر ليؤمن بالحقيقة لهذا الوجود.



عدل الله

الله سبحانه عادل:

العدل في الأرض هو إحدى أهم المسائل التي سعت البشرية للوصول إلى تحقيقها، إذ أنّه لا سعادة لإنسان بغير تحقيق العدل على هذه الأرض فالعدل يقابله الظلم والظلم هو السبب الأساسي لشقاء البشر فلذلك سعى الإنسان للوصول إلى العدل خلال مسيرة البشرية عبر التاريخ. ومن أخطر المسائل التي رافقت الإنسان خلال تطوره هي علاقة هذا الإنسان مع الحاكم المنصّب عليه فإذا كان عادلاً اتّصف مجتمعه بالعدل وكان الحاكم سبباً في تطور المجتمع وسعادته وراحته وإذا كان ظالماً كان المجتمع متصفاً بالظلم وكان الحاكم سبباً في عدم تطور المجتمع وخرابه وتدميره وظهور الأنانية فيه والتسلط وعبادة الأشخاص واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان وهذا من أخطر أمراض البشرية التي تعاني منها، فيكون إذاً العدل مرادفاً للسعادة عند الإنسان والظلم مرادفاً للآلام والشقاء.

فاعلم أيها الإنسان بأنّ حاكم هذا الكون الذي هو الله الواحد الأحد قد بنى هذا الكون على أساسي العدل وأنّ من صفاته أنّه عادل، وأنّ

الدين الذي بعث به أنبياءه قام على أساس العدل وجعله أحد أهم أركانه التي دعا الناس إليها. أمّا كيف أنّ الله عادل وكيف أنّ الدين قام على أساس العدل فلأنّه سبحانه بنى المجتمع وجعل أفعال الإنسان خاضعة وفق قانون الثواب والعقاب، فجعل الإنسان مهما كانت درجته الاجتماعية دنية مثاباً على العمل الصالح ومقدماً عنده والآخر مهما كانت درجته الاجتماعية عالية معاقباً على العمل السيء وبعيداً عنه فشجّع بذلك على العمل الصالح وتوعّد منْ يقوم بالعمل السيء، وهكذا ينتشر العدل في المجتمع ويسود الخير والصلاح وتعلو القيم وتصلح النفوس عندما تبنى على قواعد صحيحة.

إذاً فلو لاحظنا قانون الله الذي أتى به الأنبياء عليهم السلام لوجدنا فيه القيم المثالية التي تمنع اعتداء الإنسان على أخيه والتي تحث على مساعدة الإنسان لأخيه وعلى العمل لصالح المجتمع المؤمن بالله وليس لصالح الفرد، وعلى إعطاء الحقوق للآخرين وبذلك يصل كل من في المجتمع إلى الإستفادة من ثروات المجتمع. فلنأخذ بعض هذه القوانين ولنرى طبيعة حكم الله في الأرض[1] بسم الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فقول الله هذا في القرآن الكريم يوضح بشكل جلي مبدأ الثواب والعقاب في هذا القانون، ثمّ قوله سبحانه في القرآن أيضاً بسم الله[2]: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ فهنا يوضح الله بأنّ قيمة الإنسان ليس بما

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآيتان: ٧،٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الهُمزة، الآيتان: ٢،٣.

يملك من مال وليس بما يمثله من قيمة مادية بل الإنسان قيمته تنبع بما يمثله من قيم ومن عمل صالح يجعله فرداً ذو قيمة في بناء مجتمعه وهكذا يلغي قانون الله سلطة المال والمادة في المجتمع فيصبح مجتمعاً يستطيع الضعيف أن يعييش حياة كريمة فيه، وتكون له ما للأفراد الآخرين من فرص في هذا المجتمع وهذه من أكثر المسائل التي لم يجد المجتمع الحديث حلاً لها والتي يدعو الله إليها ويعمل على تحقيقها.

ثمّ هناك مسألة أخرى يدعو إليها قانون الله والتي هي من أكثر مسائل الحضارة الحديثة خطورة في زماننا هذا، وهي التفرقة بين المجتمعات بحسب لونها أو جنسها أو لغتها أمّا في الإسلام فيخبر نبي الإسلام عن قانون الله الذي يلغي هذه التفرقة فيقول ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» فهكذا لا فرق في المجتمعات لأي جنس ولا لأي لون على الآخر فالكل سواء والأفضلية لأي مجتمع هي بقدر احترامه لقيم القانون الإلهي وأمّا في الحقوق فلكل الأجناس نفس الحقوق، واللون لا يغيِّر من استحقاق للإنسان لما أعطاه الخالق من خيرات وحقوق، فممّا ذكرنا يتبيَّن لنا بأنّ قانون الله يحلّ أكبر آفتين للحضارة الحديثة وهي سلطة المال واحتكار الأغنياء لثروات الأرض والتفرقة بين المجتمعات بحسب الجنس واللون، فالكل متساوون أمام الحاكم الذي هو الله سبحانه لأنّنا قلنا بأنّ هذا الحاكم عادل وقد أسس مبادئه على العدل فنحن نرى ذلك بوضوح في خطاب الله لنبيه داوود عليه السلام: «بسم الله ﴿أَن تَحْكُمُواْ

بِٱلْعَدْلِ﴾»(١) أي أحكم بين الناس بالعدل ليعلِّم نبيّه والإنسان بشكل عام طريقة الحكم الصحيح الموصل إلى الخير والسعادة.

قوانين العدل في القرآن الكريم:

لنرى أمثلةً على ما ذكرناه فيما أوحى الله لنبيه محمد ﷺ في كتابه القرآن حيث جعله دستوراً يرجع إليه الإنسان في بناء مجتمعه الكامل القائم على المُثُل التي يطمح إليها كل إنسان، حيث أنّ هذا الكتاب هو نظام كامل يتناول كل مجالات الحياة من اجتماع واقتصاد وبناء الدولة ودور الحاكم ووظيفة الرعية وكيفية التعامل بين الناس على أسس الحقوق المتبادلة فهو بحق ما تطمح إليه البشرية في بناء مجتمعها السليم. فعلى مستوى العائلة يقول الله: «بسم الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(٢) فيوضح سبحانه بأنّ على رب العائلة أن يأمر أهل بيته بالعمل الصالح والصفات الحميدة والتعامل الطيب مع بعضهم ومع الآخرين وبكل ما يساهم في بناء العائلة الصالحة وبالتالي المجتمع الصالح لتجنّب النار يوم الحساب والتي تكون بسبب العمل السيء، فأولى سبحانه أهمية كبيرة لبناء العائلة التي هي أساس المجتمع ونظّم العلاقات بينها فأمر باحترام الأساس فيها والذين هم الوالدان بقوله(٣) بسم الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

إِحْسَـٰنًا﴾. فالإحسان إلى الوالدين هو من أوضح مظاهر العدل وحُسن القوانين الإلهية إذ أنّ الله يعتبر أنّ ما يقدمه الوالدان لتربية الأبناء هو شيء يوجب على الأبناء مبادلته بالمِثل طيلة حياة الوالدين وهو مثال جَلي لمدى اهتمام الخالق بحقوق الإنسان والحفاظ عليها وباعطاء القيمة لهذا الإنسان بحسب ما يتمتع من فضائل وبقدر ما يكون فرداً عاملاً في بناء المجتمع الصالح وبقدر ما يقدم لأخيه ولهذا المجتمع.

ثمّ يوضّح الله كيفية تعامل ركن العائلة الأساسي وهو الزوج مع الركن الآخر التي هي الزوجة فيضع سبحانه منهاجاً للزوج لأنه أعطاه السلطة على الزوجة وكذلك لكل من له سلطة على رقاب الآخرين الضعفاء فيقول: بسم الله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[1] فيحدِّد الله ضرورة المعاملة بالحسنى لمن نمتلك السلطة عليه والولاية على حياته ومصيره، فإنّ التعامل الحسن هو أقل ما يمكن لإعطاء القيمة للإنسان والحفاظ على حقوقه وضمان الحياة المحترمة له وطريق لاحترام إنسانيته مهما كان جنسه ولونه وذلك أوضح ما يكون في الزوجة التي لا تملك من المقدرات المادية والنفوذ المادي في العائلة إلا الشيء القليل ومع ذلك فرض الله على الزوج احترامها وحسن التعامل معها وأعطاها دوراً أساساً في إدارة العائلة ودوراً موازياً لدور الأب في تربية الأبناء. وهذا القانون في التعامل يوصي به الله مع كل ضعيف في المجتمع وإذا رأى الزوج بأنّه غير قادر على ممارسة هذا الدور فيأمره الله باخلاء سبيل الزوجة باحترام وذلك للحفاظ على حقها فاختيار مصيرها

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الطلاق، الآية: ٢.

المناسب لها في هذه الحياة يكون دون تسلط أحد عليها فهذه هي القيم والمثل التي تطمح إليها النفس الإنسانية في كل زمان ومكان والتي يأمر بها الله الحاكم العادل لهذا الكون.

بعدها يرشد الله في كتابه إلى جملة من الصفات التي يجب أن يسير على أساسها الفرد ويبني على أساسها شخصيته التي هي الخلية الأولى في بناء المجتمع والتي إذا صَلُحت صلح المجتمع، فيوصي سبحانه بالإبتعاد عن التكبر لتحقيق المساواة بين الأفراد وعدم التمايز وذلك يوصل إلى احترام الإنسان لأخيه الإنسان وعدم التمايز عليه بالمال أو المركز أو العلم فيقول سبحانه في قرآنه[١] بسم الله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ إشارة إلى الابتعاد عن المشيء الذي يدل على التكبر. ثمّ يشير سبحانه إلى صفة أخلاقية أخرى على مستوى التعامل بين الأفراد فيوصي بعدم التعامل مع الآخر إلا بالكلام الطيِّب وبمعنى آخر توجيه خطاب الإنسان إلى الخطاب السمح الذي يهدي إلى الخير وينشر الخير في المجتمع ويجعل العلاقات بين الأفراد على هذا الأساس فيشير سبحانه إلى أهمية ذلك في كتابه بقوله[٢]: بسم الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي ذلك دلالة على أن التعامل الطيِّب ينشر في المجتمع ويشيع أجواء الخير والرحمة والصلاح كالشجرة التي تفيء بظلها لتنشر الرحمة. ثم نجد فيما يوصي به الله صفة أخرى ليس فقط على المستوى

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

الفردي بل على مستوى المجتمع فهي حلٌ لأهم مشاكل المجتمع الحديث وللمجتمعات التي سبقت، فيخاطب سبحانه الإنسان فتقول: بسم الله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١] فهنا يأمر سبحانه الإنسان بعدم الإسراف في طعامه، فعلى المستوى الفردي يبني الله فرداً مسؤولاً في مجتمعه يتصرف باقتصاد في طعامه وفي غير الطعام وبذلك يحافظ على ثروات هذا المجتمع وعلى توزيعها بشكل عادل فما يقتصده هذا الفرد فهو يذهب إلى فرد آخر فتكون النتيجة لهذا الإرشاد على المستوى العام للمجتمع هو عدم انتشار الفقر نتيجة للتوزيع العادل للثروة في المجتمع، وذلك باختيار الفرد واستجابته لقانون الله الذي يمنع الإسراف في استعمال هذه الثروة وضمان حصة الأفراد الآخرين منها وفي هذا انتشار العدالة الاجتماعية.

نجد قانوناً آخر من القوانين الإلهية ومثالاً آخر لمنهج العدل في تشريع الله الذي يبني الفرد المؤمن بالله ويكوِّنه على أساس الإتصاف بصفات تكون دافعة اختياراً إلى نشر مبدأ العدالة بين الناس من خلال توجيه الله للفرد على لسان كتابه وواضعاً أساساً لكيفية حل مشكلة الفقر في المجتمع بسم الله[٢]: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ فهنا الخالق يوجه الإنسان إلى ضرورة أن يساعد أخاه الإنسان من الثروة التي أعطاه إياه الله، وبذلك يكون الفرد متحلياً بتربية على أساس قيم العدل والحس الاجتماعي بالآخرين والنظرة إلى الحياة على أساس

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الماعون، الآيات: ١-٣.

المجتمع وليس على أساس الفرد فبذلك يكون الضعيف في المجتمع مرحوماً وتكون مشكلة الفقر أقل تفشياً في المجتمع وما ذلك إلا لأنّ الأنبياء جاؤوا من عند الله بقوانين تبني الفرد على القيم والمثل بحيث تكون عاملاً لحل المشاكل الاجتماعية حيث اعتبروها من الدين، وليس فرداً أنانياً ذو قيم فاسدة تسبِّب هذه المشاكل. أفليست هذه هي مبادىء العدل والخير التي يسعى إليها الإنسان في هذه الحياة وأليس هذا هو الحاكم العادل الذي هو الله الذي يحْلم الإنسان بوجوده؟ فإذا كنت تسعى أيها الإنسان إلى هكذا حاكم فالله موجود ولكن عليك أن تسعى إلى التعرف عليه.

خلق الله قائم على العدل:

لو نظر الإنسان إلى هذه الطبيعة التي يعيش فيها ونظر إلى نفسه لرأى بأنّ هذا الخلق يقوم على العدل. فحين خلق الله الإنسان بحاجة لأن يتنفس وجعل له الرئتين لم يحرمه من الهواء الذي يتنفسه بل خلقه له أيضاً وجعله بكميات كافية لكل أهل الأرض رغم ازدياد عدد سكان أهل الأرض مع مرور الزمن وإلا لحصلت النزاعات للحصول على هذا الهواء فهذا عدل مع الإنسان من خالقه وتدبير لشؤون حياته، دون أن يكون للإنسان فضل على خالقه وذلك لأن هذا الخالق لطيف رحيم فجعل الأشجار والنباتات لتمتص أوكسيد الكربون وتنتج الأكسجين الذي نحن بحاجة إليه. وحين خلقك أيها الإنسان بحاجة إلى الماء بحيث لا تستطيع العيش بدونه خلق لك هذا الماء وبكميات كافية

وجعل دورة تكوّن ماء المطر عن طريق التبخر لمياه البحر بأشعة الشمس وخلق لذلك لك الشمس ولتعطيك الدفء وإلا لعشت في ظلام دائم تتجمد معه وتموت ودون أن يكون لك فضل على خالقك ودون أن تطلب منه ذلك لأنّ هذا الخالق عادلٌ في جوهره، وحين خلق الله الإنسان وأسكنه الصحراء الخالية من الماء خلق له سفينة الصحراء التي هي الجمل القادر على البقاء فترة طويلة بلا أن يشرب الماء ليقله في سفره، وجعل لحم هذا الجمل طرياً حيث يتغذى عليه هذا الإنسان في مكانه القاسي هذا الخالي من الزرع وجعل في ضرع أنثاه اللبن المنعش في هذه الصحراء الحارة وذلك لأنّ الله عادل في خلقه ودون أن يطلب منه هذا الإنسان ذلك ولا فضل له على خالقه ليعطيه.

وحين خلق الله الحيوانات وجعل منها الضعيف والقوي جعل للضعيف منها وسيلة تدافع فيها عن نفسها فلاحظ بأنّ للغنم والماعز والبقر قرنين تنطح عدوها بهما وجعل للنحلة إبرة تدافع بها إذا هاجمها الإنسان أو أي مخلوق آخر، وجعل للحرباء التلون فتستطيع بذلك الإختباء من عدوها بأخذ لون المكان التي هي فيه، وجعل للقط مخالب يدافع بها عن نفسه إذا هاجمه كلب وذلك لأنّ الله عادلٌ في خلقه حتى مع أضعف المخلوقات التي لا تدرك حتى معنى كلمة الخالق ولا تعطي مقابله شيئاً. إذاً فيا أيها الإنسان وأنت تملك العقل وتستطيع إدراك معنى الخالق أفلا يجدر بك أن تعطي هذا الخالق من حياتك وجهدك وولو وقتاً للتعرف عليه والسعي لشكره على كل ما أعطى دون أن تطلب منه ذلك.

ثمّ لاحظ أنّك أيها الإنسان تتعرّض للبرد والحر فلو لم يخلق الله

النار ليبعث الدفء في الجسم لمات الإنسان تجمداً ولما استطاع الحياة على هذه البسيطة وإذا أصابه الحر أنعش جسمه بالماء البارد فهل طلبت أيها الإنسان من خالقك ذلك، وإذ جعل الله الإنسان ضعيفاً أمام العمل الطويل فيصاب بالجهد والتعب فخلق له النوم ليأخذ راحة لجسده يستعين بها على استمرار حياته وإلا لأصاب هذا الجسد التلف والفناء في فترة قصيرة أفأنت طلبت أيضاً أيها الإنسان ذلك من خالقك، وإذ خلق الله هذه الأرض شاسعة واسعة فلا يستطيع الإنسان التنقل إلا بوسيلة فخلق له قبل اختراع وسائل النقل الخيل والبعير لتكون وسيلة لحمل هذا الإنسان من مكان إلى مكان وإلا لكان مضطراً إلى قطع هذه المسافات سيراً على الأقدام وما استطاع هذا الإنسان إلا العيش في مكانه الضيق حياة ضيقة. فإذا أبصرنا في هذا الكون لرأينا كل خلق الله يخضع لهذه القاعدة وهي عدل الله في خلقه وإلا لما استطاع هذا الإنسان العيش على هذه الأرض أصلاً. إذاً ألا يرى الإنسان هذا الحاكم العادل كفؤاً لنشر العدل في الأرض وألا يدعو ذلك الإنسان إلى السعي للتعرف على قوانين الله وعلى واضع هذه القوانين؟ وخاصة بأنّ سعادة الإنسان التي يسعى إليها دائماً لا تنفك عن بسط العدالة ووجودها في هذه الأرض فإذا لم تفعل ذلك أيها الإنسان فتكون أنت نفسك غير عادل ولا تؤمن بهذه العدالة.

جوهر عدل القوانين الإلهية هي كونها لمصلحة الإنسان:

بعد إزالة الشك عن كون الله هو خالق النفس الإنسانية فهذا الخالق لا بد أن يكون هو العارف بأسرار هذه النفس فيعلم ما يصلحها ويحقق استقرارها وصلاحها والذي يوصلها إلى ما تطمح إليه في هذا الوجود ويعلم ما يفسدها ويضرها ويجعلها تعيش حياة القلق والعذاب. فاعلم أنّ من صفات الله أنّه لطيف بعباده رؤوف بهم يريد مصلحة الإنسان وما يوصله إلى الخير، ويرشده إلى ما يضره ويسبب له الشر فيبعده عنه وينهاه عن الإقتراب منه، فنحن نطوق إذاً إلى هكذا حاكم يهتم بأمور الخلق ويسن لهم القوانين التي تبني مجتمعهم السليم ويريد صالحهم والعيش الكريم لهم إذ غالباً ما نجد أن أزمة الإنسان مع الحاكم المنصّب هو عمل الحاكم لمصلحته ووفق رغباته مما يسبِّب للإنسان الآلام والعذابات ومما يؤدي إلى تدمير الإنسان والمجتمع لصالح هذا الفرد الحاكم.

أمّا الله فهو حاكم يمثل المثال الأعلى للقيم فهو الكمال في الصفات الحسنة، فهو كما رأينا وكما قال الفلاسفة وكما أخبر الأنبياء عليهم السلام أن الله هو خالق الخير والداعي إليه فلا يمكن إلا أن يأمر به، فلذلك خلق الإنسان وإراده أن يكون ممثلاً لهذه القيم وللذات الإلهية في الأرض، فخاطب سبحانه الملائكة قائلاً[1] بسم الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فلا بد لهذا الخليفة أن يكون صورة عن مبادىء الإله ومطبقاً لهذه المبادىء من صلاح وعدل، وأراد له أن يبني مجتمعه على هذه

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣٠.

المبادىء لأنه يعلم بأنّ هذه المبادىء هي التي تحقق له الخير والطمأنينة، وأراد له كما بيّنا أن يبني شخصيته على أساس هذه القيم لتكون النواة لبناء المجتمع، وأرسل له الأنبياء والرسل ليعلّموه هذه المبادىء لتكون روح هذا الإنسان مرتبطة بالخالق الذي هو الأصل لهذه القيم والمبادىء، فيكون بذلك إنساناً صالحاً مرتبطاً بالله بروحه وجسده يؤدي ما أمره به من طاعة ليوصله إلى السعادة وتكون حياته تعبيراً عن الخضوع والاعتراف والشكر والتعظيم للخالق والإقرار بأنّه إله هذا الكون الأوحد. ولهذا أمر الله الإنسان بالعبادة وهذا هو معناها، وبذلك يصل الإنسان إلى سعادة الجسد عبر القوانين الإلهية التي ترعى حاجاته وإلى سعادة الروح عبر حمل قيم ومبادىء هذا الخالق العظيم والمرتبطة به، المطمئنة لهذا الحاكم العادل اللطيف الرؤوف بها، فهل يكون ذلك حافزاً للتعرف على الله وقوانينه والإيمان به والسير بأوامره فنصل كما قال الفلاسفة إلى المجتمع المثالي الذي نطمح إليه.

الله الداعي إلى المجتمع الصالح، وإبليس إلى الرذائل وعلى الإنسان أن يختار:

منذ القِدَم حاولت النفس الإنسانية بفطرتها ومعها الفكر الإنساني الإجابة على سؤال طالما يشغل الفكر الإنساني، وهو سبب وجود الإنسان على هذه الأرض ودوره والغاية من أفعاله في هذه الحياة وسر الغرائز التي فيه وسر وجود العقل وهدفه في الوجود، وقابلية الإنسان لأن يكون اجتماعياً صالحاً أو وحشاً ضارياً. فبحث الفلاسفة سر ذلك

وهم ذروة الفكر الإنساني فوصلوا إلى استنتاجات متباينة فمنهم من وصل إلى حقيقة أنّه لا بد من وجود خالق لهذا الكون ولا بد أن تكون أفعال الإنسان وحياته مرتبطة بهذا الخالق، ومنهم من توصل عن طريق الحكمة بأنّه لا يمكن أن تكون أفعال الإنسان عبثية ولا يمكن أن يستوي فعل الشر وفعل الخير فلا بد أن يكون هناك حساب وعقاب حتى ولو ما بعد الموت وأن يكون هناك خالق لهذا الإنسان يتولى ذلك وله القدرة والسلطة في الحياة وما بعد الموت. وهم قد توصلوا بذلك إلى جزء مهم من الحقيقة لوجود الإنسان والكون ولكن منهم من ضلّ الطريق فصنع آلهة وربط هذا الحساب وهذه الأفعال بها كما نرى في بعض الطرق المنتشرة في زماننا في مناطق كبيرة من آسيا.

لكن الحقيقة وكما سبق وقلنا هي أنّ الله هو مثال الكمال في هذا الكون وقد خلق الإنسان وأراد أن يكون صورة له وخليفة عنه وحاملاً لمبادئه وقيمه ولصفات الكمال التي يمثلها وأراد لهذا الإنسان أن ترتبط روحه وأفعاله بالخالق ليبني الأرض وفق جوهره وهو الخير والصلاح، ولكن إبليس اللعين وهو أحد المخلوقات التي خلقها الله والتي عصته خرجت عن طاعته وتكبرت على خالقها، فابليس هذا عَظُم لديه أن يكون آدم الذي خلقه الله أيضاً والذي هو أب الإنسانية أعظم درجة منه عند الخالق فرفض الخضوع لهذه الحقيقة بينما الملائكة أقرّت لخالقها بذلك وخضعت وهذا ما أكّده القرآن الكريم بسم الله:[1] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣٤.

وَٱسْتَكْبَرَ﴾، وهكذا بدأ الصراع في الأرض بعد أن أهبط الله إبليس وآدم من جنته إلى هذه الأرض وبعد أن توعد إبليس اللعين آدم مع ذريته. إبليس هذا وجود ومخلوق حقيقي يمتلك قدرات شر مع ذريته من الشياطين وهو خبيث ويتربص بالإنسان الشر، فهو العدو الأول للإنسان ويحاول أن يبعده دائماً عن الصدق والإستقامة والخير وكل الصفات الحسنة، وأن يبعده عن الوصول إلى معرفة الله عن طريق إفساد النفس الإنسانية وهو يكيد للإنسان(١)، بسم الله: ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فوجوده خفي يرانا ولا نراه. فهنا يتضح سر يتعلق بوجود الإنسان على هذه الأرض فابليس هو الداعي إلى الشر والفساد في المجتمع حقداً وحسداً من أبناء آدم عليه السلام ويسعى لإبعاد الإنسان عن معرفة الله، والله هو الداعي في المجتمع إلى الخير والصلاح والقيم، فالله يريد من الإنسان أن يطيعه ليوصله إلى السعادة لأنّه خالقه ويريد مصلحته وما ينفعه وإبليس اللعين الذي هو قريب من الإنسان والذي يحاول أن يتسلط على نفس هذا الإنسان وعقله ليحاول أن يبعده عن الله وعن السير على قوانينه التي هي لخيره ولصالح البشرية.

هنا يظهر عدل الله، فهل ترك الله هذا الإنسان الضعيف قبالة إبليس الخبيث وحيداً في هذا الصراع؟، طبعاً لا كما بيّنا عن جوهر الله العادل اللطيف بخلقه. فقد أرسل أولاً الأنبياء والرسل ليخبروا الإنسان بهذه الحقيقة فلم يترك الله الإنسان جاهلاً بهذا عليه السلام الصراع وحيداً في الميدان بل نبّهه من هذا العدو المتربص به وهذا ما يظهر من

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

القرآن الكريم كما في كل الكتب السماوية[١] بسم الله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾، فلو أنّ الله لم يكن بانياً قوانينه على العدل لترك الإنسان يتخبّط في هذا الصراع الغير متكافىء ولتركه يخطىء ومن ثمّ يعاقبه على ذلك ولكنه تعالى بنى قانونه على العدل فقال[٢] بسم الله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ فلا عقاب قبل إلقاء الحجة على الإنسان وإعطاء الفرصة للاصلاح والاستقامة وإطاعة الخالق ونبذ إبليس العدو، وهذا معنى الحاكم العادل الرؤوف برعيته. وهنا يأتي دور الإنسان ودور العقل عنده فإمّا أن يؤمن بوجود الله ويطيعه فيسير في طريق الخير ويحمل القيم الإلهية فيبني مجتمعاً وحياة صالحة وإمّا أن يستمع ويخضع لتسلط إبليس فيسير في طريق الشر ويخالف المبادىء والقيم وفي هذا انتشار الفساد والخراب في المجتمع. واعلم أيها الإنسان بأنّ الله هو النصير في هذا الصراع فسبحانه ليس فقط هو المرشد للإنسان إلى طريق الصلاح ولكن الإنسان المؤمن به المطيع له السائر وفق ما أمره له درجة وكرامة عنده بحيث أنّه كما سخّر له هذا الكون وفق حاجاته كما ذكرنا فقد سخّر له ملائكة تعينه في هذا الصراع وتساعده في مواجهة إبليس اللعين حتى لا ينحرف وتعينه على أفعال الخير وتحرسه من الشياطين من أتباع إبليس، وقد سماهم الله بالملائكة الحافظين[٣] بسم الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾. فنفهم من ذلك بأنّ الله هو أساس في دفع شر إبليس وجنوده من الشياطين حيث

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة فاطر: الآية: ٦.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الانفطار، الآية: ١٠.

أنّه كلّف الملائكة بالدفاع عن الإنسان الذي يؤمن به، فإبليس اللعين هو عدو لله وملائكته قبل أن يكون عدواً للإنسان والإنسانية وعلى الإنسان في هذا الصراع أن يحسم أمره فإمّا أن يكون من جنود الله وإمّا أن يكون من جنود إبليس. فأيها الإنسان أيها المخلوق المكرم عند الله كن مع الله وتعرف عليه ولا تكن من أتباع إبليس فيحرفك عن طريق الخير ويؤدي إلى هلاكك وهلاك البشرية والمجتمع، وإعلم بأنّ الله يدعوك إلى ما يصلحك وينفعك فهو الخير والداعي إليه ونصيرك في السعي إليه والحريص عليك فلا تتردّد في السعي لمعرفته.

الصلاح والعدل في المجتمع مرتبط بالإيمان بالله:

بعدما عرفت أصبح هناك اتفاق بين أصحاب الأديان والفلاسفة والحكماء بأن صلاح النفس الإنسانية والمجتمع والبشرية مرتبط بالله وبالإيمان به وبوجوده، والوصول إلى العدل المطلق أيضاً مرتبط بذلك فبعد أن بيّنا سر وجود الإنسان والصراع بين الخير والشر المرتبط بهذا الوجود، فكيف يمكن للإنسان أن ينتصر في هذا الصراع على إبليس اللعين ومن معه من الشياطين وعلى القوى الشيطانية التي يمتلكها والتي هي حقيقة وليست وهمية إذا لم نعتمد على الله ولم نكن مؤمنين به. فمن سيعيننا في هذا الصراع على قوى إبليس الخفية إذا لم نلجأ إلى قوة خفية تناسب هذا الصراع والتي هي وجود الله والذي يمثل قوة الخير في هذا الكون، فلا نصر في أي صراع دون الاعتماد على قوة تواجه قوة المعتدي وتكون أقوى منه.

ثمّ من هو القادر على وضع قوانين العدل، فإن قلنا بأنّ الإنسان قادر على أن يضعها، فتقول بأنّ الإنسان لا يمثل الكمال في الكون وبالتالي فعقل الإنسان غير قادر على الوصول إلى الكمال في قوانين العدل فتظل ناقصة فبذلك لا يستطيع أن يصل الإنسان إلى بناء المجتمع المثالي. أما الله فهو خالق النفس الإنسانية والعالم بأسرارها وهو العالم بما يصلحها وما يفسدها وهو الخالق لهذا الوجود والعالم بأسراره فهو إذاً قادر على وضع القوانين المثالية التي تناسب الإنسان والكون، وكما رأينا بأن خلق الله وتناسقه هو مثال ودليل على عدالة الله المثالية في الوجود، ثمّ أنّه سبحانه هو الوجود الذي يمثل الكمال في الصفات ومنها أنّ جوهره عادل ويمثل العدل المطلق كما بيّنا ويظهر ذلك من قوانينه وخلقه فلا أحد يستطيع معرفة قوانين العدل المطلق غير خالق مفهوم العدل. وقد علمنا أيضاً بأن الله هو المتصرف بمصائر الناس والكون والأمم فهو الجهة المثلى ليكون عوناً للإنسان في طريق تحقيق الصلاح للبشرية، ولذلك منْ يؤمن بالله يتجه إلى عبادته والطلب منه لتحقيق ذلك وهو معنى الإيمان بقدرة الخالق وسلطته على هذا الوجود وتأثيره على الإنسان وأفعاله نحو الخير والصلاح فارتباط تحقيق العدل والصلاح في المجتمع مرتبط ارتباطاً أساسياً بالإيمان بالله لأنه القوة المنفذة الأمثل لتحقيق هذا الهذف.

أيضاً نقول أليست القيادة الحكيمة التي تعمل لصالح رعيتها هي التي تحقق السعادة والعدل والرخاء لهذه الرعية؟ فهل هناك بعدما عرفنا أفضل من الله الذي بنى الكون على أساس حكمته لأن يكون قائداً لهذه البشرية، ولكن القائد الذي لا يطاع تكون الرعية هي سبب

فشل تحقيق هذه الأهداف وليس عدم جدارة هذه القوانين فهنا يأتي دور الإنسان وإيمانه بالله والسير على قوانينه وإطاعته، فالإنسان المؤمن بقيادة الله للمجتمع إنّما يساهم في تحقيق هذه الأهداف. وأمّا السير وراء قيادة الإنسان للإنسان فهي التسليم لقيادة تملأها الأهواء والمصالح والغايات والإنسان بنقصه وأهواءه ليس هو القيادة المثالية بل هو سبب لخراب هذا المجتمع، فقيادة الله للمجتمع هي القادرة على جمع الإنسانية تحت رايتها وتوحيد جهودهم وتوجيههم التوجيه السليم لأن الخالق للإنسان هو الأولى بجمع البشرية والمسير بها فقلما وجدنا قائداً يوجه التوجيه السليم في المجتمع كالأنبياء والرسل والتاريخ يشهد لهم بذلك وبالخير الذي عمّ بوجودهم وبنصرتهم للضعفاء وللخير وأتباعه.

ففي النهاية فإنّ الخير والعدل في المجتمع مرتبط بالإيمان بواضع قوانين العدل وإطاعته وإتباع أحكامه وبالاعتماد على قدرته وسلطته على هذا الكون لأنّه هو المؤثر في هذا الوجود والقادر على مواجهة قوى إبليس الشريرة، ولأنّ أوامر الله هي القادرة على تربية النفس الإنسانية على الخير والصلاح وبالتالي هذه النفس هي الأساس في بناء المجتمع فصلاحها هو صلاح المجتمع، وننتهي بالقول بإن منْ بنى هذا الكون على هذا النظام الدقيق المتناسق قادر على بناء المجتمع الصالح بدقة على قوانين تلائم الإنسان والإنسانية شرط أن يلتزم هذا الإنسان بهذه القوانين، وهنا يأتي دور الإنسان ومدى إيمانه بالله وطاعته له في تحقيق ذلك. إذاً أليس في كل ذلك داعياً إلى معرفة الله والإيمان به.

عدل الله يمتد إلى ما بعد الموت:

يبيِّن الله فيما أخبر به البشر مبدأً يؤكد صفة الحاكم العادل الذي لا يضيع عنده شيء من عمل صالح وأنّه الضامن لما يخسره الإنسان في صراعه ضد إبليس وجنوده، وأنّه قد أعدّ جوائزاً للمطيعين. كما أنّه سبحانه توعدّ من يخالفه ويعصيه ويعمل لإبليس وينشر الفساد في الأرض بالعقاب فقال في القرآن الكريم[1] بسم الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وبذلك ومن خلال هذا التحفيز لعمل الخير والتحذير من عمل الشر يستطيع الإنسان أن يصل إلى بناء المجتمع والنظام العادل لجميع البشر بما فيه خير الإنسان عبر بناء الشخصية للفرد وفق الأحكام الإلهية التي تقوم على العدل والحث على العمل الصالح واكتساب قيم الخير كما رأينا فيما مرّ من الأمثلة. وقد مرّ أيضاً أنّ الحكماء والفلاسفة وفي الطريق للوصول إلى هذه الأهداف أيقنوا بوجود إله لهذا الكون وأيقنوا بضرورة ارتباط الفضائل بخالقها وواضعها في الإنسان فلا بد أن يكون هذا الإله هو محركها فيه، ولكن هناك مسألة حيرت الإنسان وكانت موضع بحث هؤلاء الحكماء والفلاسفة وهي مصير الإنسان بعد الموت.

الإجابة على هذا السؤال مرتبط أيضاً بالتساؤل أنّه هل من العدل أن يعمل الظالم ما يشاء في هذه الدنيا ويظلم الآخرين وينهل من ملذاتها، والمظلوم يشقى فيها ولا تنقضي إلا بهلاكه ثمّ يموتان هو والظالم سيّان

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآية: ٨.

فيكون ذلك إذاً تشجيعاً للظلم ولسيطرة القوي في هذه الأرض. فهؤلاء الفلاسفة والحكماء قالوا بأنّه لا بدّ أن يكون هناك حساب بعد الموت وهم قد توصلوا إلى الحقيقة بخصوص وجود خالق لهذا الكون وبخصوص وجود حساب بعد الموت لأنّ ذلك موافق للعدل وهذا ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام، فلذلك فمنْ أحسن العمل في هذه الدنيا واعترف بوجود الله الخالق للكون فقد أعدّ له الله حياةً أبدية منعمّة كجائزة لهذا الإنسان على طاعته في هذه الدنيا وهذا هو العدل الحقيقي الذي يمتد حتى ما بعد الموت، فالإنسان الذي يجهد طوال حياته للسعي إلى بناء المجتمع الصالح ولتطبيق أحكام الله الموصلة إليه فربما يبذل هذا الإنسان ماله وأهله وحتى نفسه للوصول إلى هذا الهدف ويخسر الحياة التي هي أغلى ما يكون عند الإنسان فلا بدّ أن يعوّض عن ذلك بعد الموت، فهل هناك حاكم على هذه الأرض يستطيع أن يحقق ذلك للإنسان؟ وهل هناك من حاكم يستطيع أن يضمن لهذا الإنسان السعادة بعد الموت؟ فلا يستطيع ذلك إلا الإله الخالق للكون ولهذا الإنسان.

ثمّ يأتي الجواب على مسألة حيرت الإنسان أيضاً وسببت له الشقاء عبر التاريخ وهو أنَّه لماذا يسود الظلم في هذه الدنيا بلا حسيب ولا مدافع عن المظلومين. فبعدما عرفنا نستطيع أن نقول بأنّ الله هو المدافع عمّن آمن به ودعاه وأطاعه فكلنا يعرف قصة النبي نوح عليه السلام عندما ظلمه قومه كيف أنّه دعا الله فأرسل عليهم طوفاناً وحمل نوح عليه السلام في السفينة وهكذا موسى عليه السلام أيضاً عندما أنجاه الله من فرعون وظلمه. وهذا تأكيد لما قلناه بأنّ بناء العدل والمجتمع الطالح

مرتبط بالإيمان بالله وإطاعته ليس فقط لأنّ الأحكام الإلهية عادلة بل لأنّ واضعها قادر على إعانة الإنسان على تطبيقها وقادر على أن يدافع عنه شرط أن يلتزم هذا الإنسان بأحكام الله وأمّا منْ لا يؤمن بالله فكما مرّ فيما سبق بأنّ اللهإن شاء تركه لمصيره في هذه الدنيا وإن شاء منع الظلم[1] عنه لميثاق عنده سبحانه للبشر بيّنه في كتابه: بسم الله و﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، وأكثر ما نرى تأثير القدرة الإلهية في دعوات الأنبياء عليهم السلام والقصص كثيرة عنهم. أمّا أنّه لماذا تجري الأمور بلا حسيب فهذا تفكير خاطىء فإنّ الله مراقب لكل شيء فإن كان الظالم والمظلوم لا يؤمنون بالله فالله إن شاء تدخّل وإن شاء ترك الأمر يجري لحكمة عنده، فسبحانه جعل هذه الحياة اختباراً وامتحاناً للظالم والمظلوم ليرى من يطيعه ومن يعصيه وهذه هي حكمة وجود الإنسان في هذه الأرض[2] بسم الله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإذا أحسن الإنسان العمل فله بعد الموت جوائز من جنّات يحيي فيها منعماً وأمّا الظالم فسوف يقتص الله منه بعد الموت وقد أعدّ له عذاباً شديداً جزاءً له على ظلمه وأخذاً لحق المظلوم منه والمظلوم يرى ذلك يوم الحساب.

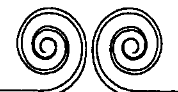
إذاً فهذا هو الجواب على مسألة أنّه لماذا يسود الظلم في الأرض فالإنسان في هذه الأرض في اختبار والله يترك الظالم لا لعدم القدرة عليه بل إمهالاً له علَّه يعود عن ظلمه وهذا من العدل ومن جوهره وهو

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة هود، الآية: ٧.

إمهال الإنسان للتوبة، وأمّا المظلوم فإذا لم يطلب من الله العون ولم يؤمن به فيكون قد فوت فرصة الإلتجاء إلى القوي القادر فلذلك قلنا بأنَّ رفع الظلم مرتبط بالإيمان بالله ولذلك أتى الأنبياء عليهم السلام ليخبروا الناس بهذه المبادىء ويبينوا حقيقة وصفات الله والتي منها الدفاع عن المظلومين ومنع الظلم ونشر الخير في هذه الأرض. فيا أيها الإنسان فأنت قد أكرمك الله وأعطاك العقل والإرادة وجعلك مختاراً فإمّا أن تطع الله فتكون مع نشر الخير وبناء المجتمع السليم وإما أن تنكر الله وتخالف القوانين الإلهية فتكون سبباً في نشر الفساد والظلم في المجتمع، فكن مع الله الحاكم العادل فتفوز بخير هذه الدنيا وبجائزتك بعد الموت وتنجو من العقاب ولا تتردّد في ذلك بعد كل ما عرفت، فقانون الله العادل ومبدأ الثواب والعقاب هو الملجأ للإنسان وخاصة الضعفاء فيضع حداً للقوي ويطمئن معه الضعيف فتصل النفوس للبشر إلى طمأنينتها المنشردة في هذه الحياة.





الله حي أبدي غنيّ عن الخلق والكل بحاجة إليه

الله حي أبدي غني عن خلقه والكل بحاجة إليه:

عرفنا عند الكلام عن وحدانية الله بأنّه سبحانه هو الإله الذي يمتلك كل صفات الكمال فهو الوجود الكامل في الكون، المتعالي في الصفات عن مخلوقاته فهو لا يعتريه أي نقص فهو لذلك ليس بحاجة إلى شريك، وصاحب القدرة المطلقة فلا يحتاج إلى معين وصاحب الإرادة النافذة والحكمة التامة فلا يحتاج إلى وزير. فنتابع الكلام فنقول بأنّه لو جئنا بأذكى العقول في التدبير فكيف بخالق العقل ومدبِّر المدبِّر الذكي، فلا شك بأنّ الله هو سيد العقلاء الأذكياء في هذا الكون فهو العقل المركزي لهذا الكون الذي لا غنى عنه وهو غني عن كل أحد في تدبيره لهذا الوجود. ثمّ أنّ العلماء قد ذكروا بأنّ الشيء هو بحاجة لعلة وجوده ليس فقط لإخراجه من العدم إلى الوجود بل هو بحاجة لها أيضاً لاستمرار وجوده، وطالما أنّ الله هو علة هذا الوجود فإنّ كل شيء بحاجة لاستمرار وجوده إلى الله، فكما أنّ النار هي العلة التامة للحرارة فإذا زالت النار فإنّ الحرارة تزول معها والشمس التي هي العلة التامة للنور فإذا زالت الشمس فالنور يزول معها وهكذا وجود الله فإذا

زال من الوجود وهو علته التامة فإنّ الوجود سيزول معه وكذا الإنسان، فإنّ الإنسان هو بحاجة في كل لحظة من وجوده إلى وجود الله ليستمر في هذه الحياة. فإذاً فالله حي أبدي لا يفنى واستمرار الحياة المرتبطة بعلتها هو دليل على وجود الله المستمر الذي لا ينقطع ولو للحظة.

ولتتضح المسألة فقد قلنا بأنّ الله محيط بكل شيء ومراقب له ومسيِّر لهذا الوجود في كل لحظة والمدبِّر لشؤون الكون والإنسان، إذاً فإنّ الكون والإنسان بحاجة لله في كل لحظة لحسن سيره وإنتظامه في هذه الحياة، فتصوَّر يوماً ما أنّ المراقب الخالق لحرارة الشمس والذي يمسك الشمس في الفضاء تركها أو ترك مراقبة حرارتها فماذا سيحدث عندها؟ أليس خراب الكون وتوقف الحياة. ولو أنّ هذا المدبِّر العظيم الذي كما رأينا بأنّه لا ينام ولا يسهو ولا ينسى وأنّه حي أبدي، فلو أنّه نسي يوماً تحريك روحك التي في جسدك والتي من المحال أن تقول بأنّك أنت الذي تحركها أو أنّها تحرك نفسها لأنّك لا تراها أصلاً ولا تدرك ماهية وجودها فماذا كان سيحصل عندها؟ أليس هو ما نسميه بالموت وتوقف الحياة. ولو أنّ الله ترك مراقبة سرعة دوران الأرض فأسرعت في دوارنها فماذا كان سيحصل لسكان الأرض؟ أليس خراب كوكبهم، فإن قلت ولكنها القوانين الفيزيائية التي تسير الأرض لقلت لك ومنْ الذي وضع هذه القوانين ومنْ الذي يحافظ على حسن سيرها غير خالق هذا الكون ومدبِّره الذي لا إله غيره ولا شريك له يعينه على ذلك، فبذلك يتضح بأنّ الإنسان والموجودات بحاجة لله في كل لحظة لاستمرار وجودها وحُسن سيرها، وعلمنا بأنّ الله يتحكَّم لذلك بمصير

الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته فهو بحاجة إذا لأن يتوسَّل إليه ليُحسن مصيره ويمدّ في حياته ويعينه في شدائده في كل لحظات حياته وبالمقابل فإنّ الله غني مستغني عن كل خلقه فهذا هو بالضبط معنى الإله ومعنى الألوهية فالكل بحاجة إليه وهو ليس بحاجة لأحد. فهل تأكدت الآن من ضرورة الإيمان بالله والتوجه إليه وهذا ما يوضحه قوله تعالى في القرآن الكريم(١): بسم الله ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُرْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ﴾ فاعلم أيها الإنسان بأنّ الله يسمع شكوى منْ يدعوه ويصغي إليه، وكيف لا يكون ذلك وهو مع كل شيء ويسمع ويرى كل شيء فلا تتردّد في التوجه إليه والسعي لمعرفته فإنَّه شاطىء أمان في هذا الزمن وفي كل زمن.

الله لا يموت ولا يفنى فهو حي أبدي:

ذكرنا فيما سبق بأنّ الذات الإلهية ليست من الأشياء التي يدركها الإنسان فهي لا تشبه شيء من الخلق ممّا يعرفه هذا الإنسان، ولكن الله عبّر بلغة الإنسان عن نفسه على قدر فهم الإنسان فجوهر الله لا يدرك فهو قد وصف نفسه في كتابه بقوله(٢) بسم الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾. فالله يقرِّب حقيقته إلى البشر على قدر ما يستوعب العقل البشري، فهناك من الصفات التي أخبرنا بها سبحانه عنه فهي مجازاً تطلق عليه، فالله كما رأينا بأنّه يسمع ويبصر ولكن ليس بمعنى أنّ له

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الفرقان، الآية: ٧٧.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية: ١١.

أذن وعين فهو ليس بجسم، ومن هذه الصفات أيضاً بأنّه سبحانه حي لا يموت والواقع هو أنّ الله ليس وجوداً يصيبه الموت والحياة فكما عرفنا فإنّه وجود قد أوجد كل شيء ولم يوجده شيء فهو لم يُخلق، وهو موجود منذ الأزل قبل كل شيء وكل شيء بعده فهو أصل الوجود فهو ووجوده من نفسه وليس بحاجة لأحد لإستمراره، ولا يموت لأنّ وجوده دائم لا ينقطع ووجود مستمر في كل لحظة وفي كل زمن فهو لا يغيب أبداً عن هذا الوجود، وهو أبدي لأن الوجود موجود به فإذا إنتفى سيطر العدم وهذا مستحيل فلا ينقطع عن تدبير أمور الكون ولو للحظة واحدة، فلذلك قلنا بأنّ وجود الإنسان واستمراره متعلِّق بوجود الله. وطالما عرفت بأنّ ذات الله وطبيعتها ليست كالبشر فاعلم بأنّ الله لا يغفل ولا يسهو ولا ينسى لأنّه ليس جسماً فلا يعرض له كل ذلك وكيف يغفل أو يسهو ونظام الكون قائم عليه وبه وإلا لو أنّ فيه صفات النقص هذه لاختلَّ الكون ونظامه.

كذلك من هذه الصفات التي لا تصيب الله هي بأنّ الله لا يصيبه الهرم، فإنّ التآكل والإنقضاء هي صفات للمادة وكما عرفت فإنّ الله ليس من مادة وهكذا نفهم بأن الله أبدي فعدم الهرم يعني الإستمرار الدائم، وأيضاً فإنّ الله لا يصيبه العجز أوالضعف فلا يجهده العمل مهما كان ضخماً فالضعف والعجز هي من صفات الأجسام والله ليس بجسم وهو فاعل باعتبار أنّه مؤثر لا متحرِّك فهو موجود في كل مكان فليس بحاجة للحركة والإنتقال ليتعب، ومن ذلك نفهم كيف أنّ الله هو قادر بالمطلق فلا يعجز عن شيء ولا يضعف واستمرار النظام الكوني منذ ملايين السنين دون اختلال دليل على ذلك، فالله لا يتعب ولا

يحتاج إلى الراحة لما عرفت بأنّه سبحانه ليس بجسد وهو غير مادي. وهو أيضاً لا ينام لما عرفت من عدم قابليته لذلك بل هو وجود مستمر بلا إنقطاع لا في الليل ولا في النهار، فالليل والنهار عنده سيان فهو خالق الشمس والقمر وخالق الليل والنهار والخالق لا يستوعبه مصنوعه ولا يدخل فيه.

مما عرفت يتضح لك كيف أن الله هو الكمال المطلق وكيف أنّه ليس فيه نقص، وأصبحت تفهم معنى الكمال في الصفات عنده سبحانه وكيف أنّه ليس فيه صفات نقص وهذا هو معنى الإله والألوهية وبذلك فليس مثله شيء ولا شبيه له ليوصف به أو يقارن معه فهو الإله المتفرد في وجوده والمتعالي عن كل موجود فلا يمكن لشيء أن يصل إليه فهو عظيم إلى درجة الحيرة في عظمته. فبعد ما اتضح لك فهل ما زال عندك شك أيها الإنسان بأنّ الله هو إله حقاً وتجب إطاعته، فاسمع وصي رسول الإسلام علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما يقول مناجياً الله[1] «**إلهي ما عبدتك حباً بجنة ولا خوفاً من نار ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**» فهل في هذا عبرة للإنسان. فاعلم في النهاية بأنّ الله جعل للأرض أجلاً فحياتنا ليست أبدية عليها فسبحانه كتب الفناء عليها ليثبت للإنسان بأنّه الإله وكل شيء غيره يفنى فلا يبقى إلا هو وعندها يأتي يوم الحساب لتحاسب البشرية أجمع وهذا ما أكده سبحانه في كتابه[2]: بسم الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو

(١) المصدر: من أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ . فاغتنم الفرصة قبل الموت وقبل أن تصل إلى هذه اللحظة وأمام هذا الإله العظيم، واعمل كما أمرك وتعرّف عليه قبل أن تحين تلك اللحظة، فكل ما في هذا الكون يفنى بقدرة الله ولا يبقى إلا الله حي أبدي، باقٍ لا يتغير ولا يتبدل فهو لا يدخله النقص والتغير فهذه من خواص المادة ودليل على النقص ومقدمة للفناء والتآكل أمّا الله فهو الكمال المطلق الذي تلجأ إليه النفس فنحن بحاجة إليه وهو ليس بحاجة لأحد.



الله أزلي ليس له بداية

الله قديم منذ الأزل، ولم يوجده أحد:

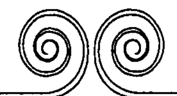
رأينا فيما سبق في الأدلة على وجود الخالق في كتاب نعم الله موجود بأنّ الوجود هو الخروج والإنتقال من العدم، وأنّه وبالملاحظة الحسية فهذا الوجود موجود ووجودنا هو جزء منه وبأنّ العدم من المستحيل أن يوجد شيئاً، فإذا لا بد من وجود قد أوجد كل شيء. وإذا طرحنا السؤال: هذا الموجد موجود إذاً فمن أوجده؟ فستقول أوجده موجِد آخر، والموجد الآخر من أوجده فستقول بأنّه موجِد غيره وهذا ممّا لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية إذاً فلا بدّ من موجِد أزلي قديم لم يسبقه أي وجود وهو قد أوجد كل شيء. فالله قديم منذ الأزل ولم يوجده أحد فهو أصل كل الوجود وقد خلق كل شيء، كان قبل أن توجد السماوات والأرض وأظهرها ليظهر ألوهيته عن طريق خلقه وسماه الإنسان ولولا ذلك لما كانت هناك حياة ولما كان هناك إنسان.

فاعلم أنّ الله وجوده ليس له بداية لأنّه كما بيّنا في الأدلة بأنّه لو كان العدم قبل وجود الله والعدم لا يوجِد شيئاً لاحتاج الوجود إلى موجد وهكذا هذا الموجد بحاجة إلى موجد يخرجه من العدم اذاً فلا بد من

وجود موجد أزلي قديم لم يسبقه عدم أو أي شيء آخر لأن هذا التسلسل باطل والعدم لا يوجِد شيئاً، فيكون أنّه قبل وجود الله ليس هناك عدم وبأنّ الله وجودمستمر وأيضاً ليس له بداية ولا نهاية فهو لم يولد ولا يعرف الموت والفناء[1]. بسم الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فالله هو الذي يعطي معنى الوجود للوجود فالوجود ليس له بداية بدون الله لأنّه موجود بوجود الله سبحانه والله ليس له بداية، فالله هو مقوّم الوجود لأنّه أصله وسببه وعلته، وهذا الوجود مستمر لأنّ وجود الله مستمر. إذاً أيها الإنسان فالله هو علة وجودك واستمراره وبدونه ليس لك وجود، أفلا يدعوك ذلك للسعي إليه ومعرفة منْ هو ومعرفة قوانينه وقصص أنبياءه ورسله؟ فإذا كنا نتعلق بالوالدين ونجلّهم ونحترمهم لأنّهم أعطونا الحياة القصيرة فكيف بالذي أوجد الدنيا وأوجدنا وأوجد كل شيء فنحن نحتاجه في كل لحظة لاستمرارنا، أفليس أولى بالاحترام والتبجيل والتعظيم وهو الذي يمثل الكمال في هذا الوجود والذي هو أصل الوجود.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة التوحيد، الآيات: ١-٣.



الله حاكم ليس له أهواء

الله ليس له أهواء فالمزاجية من صفات النقص:

إحدى الأسباب التي تؤدي للابتعاد عن جادة العدل وعن الحكمة لأي حاكم في هذا الوجود هي المزاجية في الطباع أو ما نسميه الأهواء، فإنك ترى بأنّ جزء كبير من ظلم البشر بعضهم لبعض والأخطاء التي ترتكب بحق الإنسانية والإنحرافات في المجتمع سببها الأهواء التي تمليها أنفس فاسدة وعقول تحمل فكراً منحرفاً ومزاجية في الإختيار والأحكام. وكل ما ذكرنا يمنع من انتصار الحقيقة وبالتالي عدم انتصار الواقع الصحيح للإنسان ولوجود الإنسان وبالتالي عدم حل مشاكله لا بل زيادتها وتفاقمها، فإذا كانت العين الناظرة إلى الإنسان لا تلتزم بالميزان الصحيح الذي على أساسه تزان الأمور وتحل المشاكل، فإنها لن ترى حقيقة مشاكل الإنسان والحلول الصحيحة لها بل ترى حسب ما تصوّر لها النفس المريضة وفق ما تحب لا وفق مصلحة الإنسان، فتسبِّب هذه الأهواء إذا ما تولت زمام الحكم الهلاك للإنسان وهذا ما حصل على فترات من الأزمنة في التاريخ البشري. وأما القوانين الإلهية التي وضعها الله للإنسان فهي لوضع

الميزان الصحيح للنفس الإنسانية الذي على أساسه يجب أن ترى الأمور وتحكم عليها.

أمّا أهواء الإنسان التي تسبِّب الإنحراف فكثيرة، منها حب الذات الذي يجعل المرء لا يرى إلا نفسه فلا يرى الآخرين وهكذا لن يرى مشاكلهم، ومنها الغضب والانتصار للذات ممّا يؤدي إلى العمى عن الحقيقة وتضييع حقوق الآخرين لصالح هذه الذات، وأيضاً منها الإستنساب والمزاجية في الإختيار والتفضيل بغير حق واصدار الأحكام المزاجية مما يضيِّع أسس العدالة بين الأفراد ويختار أفراداً لا يملكون الكفاءة لإدارة المجتمع ويجعل الفوضى الاجتماعية هي السائدة في المجتمع وكل ذلك يؤدي إلى فساد وانهيار المجتمع وانتشار الخلافات بين الناس. إذا عرفت ذلك فاعلم بأنّ الله ليس له أهواء ولا مزاجية في الأفعال فهو لا يعرف الإستنساب أو التفضيل للون على لون أو لجنس على جنس آخر أو سنّ الأحكام لغير مصلحة البشر فالله غني عن البشر فلا يهمه أن يدني فئة دون فئة أو قوم دون قوم آخرين أو لون دون لون فلا تزيد في قوته كثرة رعيته لما عرفت بأنه لا يحتاج لأحد فلا يحتاج لأن يدني أحد أو قوم ليقوي حكمه وملكه، وهو لا يعمل لمصلحته خوفاً من أحد أو حذراً على ملكه من أحد فيخرجه ذلك عن الحكمة في أفعاله كما نرى عند أكثر الحكام، فأفعال الله تابعة لمصلحة الإنسان وكذلك أحكامه وميزانه العدل بين البشر، وتفضيله لفرد على فرد يكون وفق عمله الصالح ونفعه لمجتمعه وإيمانه بالله، وتقريبه لفرد دون فرد يكون وفقاً لما يحمله هذا الفرد من قيم وأخلاقيات ومُثُل وعلو نفس تسمو إلى صفات الكمال التي يمثلها الله

فيرتفع بذلك المجتمع. فالله هو مثال الحاكم العادل المثالي الذي يشجع رعيته على العمل الصالح والتحلي بالأخلاقيات ويقربهم إليه على هذا الأساس فاستحق بذلك أن يكون ليس فقط إلهاً خالقاً للإنسان بل حاكماً عادلاً كما قال فلاسفة اليونان تسعى النفس البشرية للتشبه به فنحن بحاجة لله لبناء مجتمعنا على هذه الأسس فعلينا نحن أن نسعى إليه بعد ما عرفنا من صفاته وعدله، فالله هو الحاكم المتزن الحكيم الذي لا يخرجه شيء عن حكمته وهذه أيضاً هي من صفات الكمال فهو الكمال المطلق في الوجود والحاكم الكامل الذي نسعى إليه، والواجب علينا إطاعته باختيارنا. أفليس الله أيها الإنسان خير من حكام الأرض المليئين بالأهواء وبالنقص، وأليس هو القادر على إيصال الإنسان والإنسانية إلى مراتب الكمال، فعليك أنت أيها الإنسان أن تختار.



اللّه متكلّم

الله يوحي إلى البشر فهو متكلم:

قلنا بأنّ الله سبحانه عادل، ومن أشكال هذا العدل هو عدم تركه للإنسان على هذه البسيطة جاهلاً بسبب وجوده وكيفية خلقه وكونه في إمتحان واختبار في هذه الحياة، امتحان كبير يتمثل في أنّ الإنسان مكلَّف باتباع تعاليم الله وأنّه صورة تتجسَّد فيها القيم الإلهية فيجب أن يسعى إلى تحصيل ما يستطيع من عدل وأخلاق وصلاح وخير ليسمو بالنفس وأن يبتعد عن الصورة التي يمثلها إبليس من عصيان وتكبر وحب الذات حتى لا يكون ذلك تأسيساً للفساد والظلم والشر في هذه الأرض. فلأجل إيصال هذه المبادىء إلى الإنسان وإطلاعه على دوره في الحياة الأرضية، والأهم من ذلك إطلاعه على حقيقة خالق الوجود والتي بدونها لا يستطيع أن يفهم هذا الإنسان حقيقة وجوده، وليطلعه على حقيقة العبودية التي هي من توابع حقيقة الألوهية لله وبأنّ الله خالق يحب إطاعته وفي هذا سر الوجود والسر الأعظم لهذا الكون، لأنّ سمو النفس ورقيَّها في هذه الحياة وحل مشاكلها مرتبط بمعرفة الله فهو مربّيها ومهذبها والعارف بقوانينها التي فيها صلاحها، فلأجل ذلك

وعلى قاعدة أنّ الله لطيف بالبشر كان لزاماً عليه سبحانه أن يكلِّم الإنسان ليعرِّفه بما يريد منه وله.

ثمّ إنّك عرفت بأنّ الله ليس له شكل وجسم وليس بمادة بل هو موجود مع كل شيء ي هذا الكون ولا يفارقه ولا يغيب عن شيء فهو كالروح للجسد في هذا الكون وأنّه سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه. فاعلم أيضاً بأنّ الله متكلم يكلِّم البشر ولكن ليس بالآلية التي يتكلم بها الإنسان، لأنّ الإنسان مختص بهذه الخِلقة، فخلق له آلة ليخاطب بها إخوانه وعلمه الكلام ولغة التخاطب فقال سبحانه[1] بسم الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، أمّا الله فطريقة خطابه للبشر تناسب ذاته الإلهية وعن طريقها يوصل ما يريد تعريفه للبشر وقد بيّنها في كتابه بقوله سبحانه: بسم الله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾[2]، فالوحي هو إفهام البشر ما يريده سبحانه عن طريق الإيحاء إلى الإنسان وغيره من المخلوقات، إمّا بفعل معيَّن يصدر عنه كلام وهو نفس كلام الإنسان وكلّ بلغته التي يتكلمها أو بإحداث شعور في داخل الإنسان وغيره ينتج عنه مفهوم معيّن يكون هو المطلوب فهمه أو يضع صُور في ذهن الإنسان تدلّه على المطلوب وهي الأحلام. فنفهم مما ذكرنا بأنّ الوحي لا يقتصر على الإنسان فقط ولكن لكل المخلوقات ويتضّح منه كيف أنّ الله يدبّر شؤون مخلوقاته ويسيّر حياتهم ووجودهم وهذا ليس صعباً على أفهامنا فقد اكتشف العلماء مؤخراً بأنّه حتى بين النباتات هناك لغة تخاطب، ونحن نعلم بأنّ

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الشورى، الآية: ٥١.

الحيوانات تتخاطب فيما بينها فليس غريباً أو صعباً على الله أن يخاطب مخلوقاته بالإيحاء لها وقد أعطى سبحانه مثالاً لنا على ذلك بقوله[(١)] بسم الله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ وأيضاً مخاطباً الجبال بخصوص النبي داوود عليه السلام بسم الله: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾[(٢)] وكذلك خطاب الله للسموات والأرض والجبال بسم الله ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[(٣)] فنلاحظ من كل هذه الشواهد بأنّ الله يتوجه بخطابه للموجودات فتفهم ما يريده سبحانه منها بينما نظن نحن بأنّها لا تدرك، فالخطاب إلى المخلوقات من الله يكون كلّ بحسبه فالله مطّلِع على مكوّنات المخلوقات لأنّه خالقها ويستطيع أن يكلمها لذلك، وهكذا يتولى سبحانه تسييرها وتدبير شؤونها فتعرف من هذا كيف أنّ الله هو إله حقاً وكل الوجود تحت سيطرته وبإدارته.

أمّا خطاب الله للإنسان، فقد اصطفى سبحانه الأنبياء عليهم السلام ليكونوا الواسطة بينه وبين الناس وقد اختارهم ليكونوا من الأشخاص الأقرب إلى الكمال، المؤمنين إيماناً شديداً بالله ليتلقوا كلام الله ووحيه عندما يكون الإتصال بالكلام، إذ أنّه سبحانه لا يمكن أن يكلم كل البشر بل يصطفي منهم من يبلغون رسالاته إليهم ويعلّمون الناس شريعته ومبادئه وقوانينه، ومن أشهر من كلّمه الله من الأنبياء عليهم السلام هو النبي موسى في جبل الطور ولذلك سمّي بكليم الله وهنال كان الخطاب بإحداث

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة النحل، الآية: ٦٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة سبأ، الآية: ١٠.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الأحزاب، الآية: ٧٧.

الكلام[١] المتعارف بين الناس في قول الله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ وكذلك كان الوحي إلى أم موسى لينقذ الله نبيه موس[٢] بسم الله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾. فمن ملاحظة هذه الشخصيات المميزة في التاريخ وكمريم وعيسى عليهما السلام ومحمد ﷺ الذين غيروا مجرى التاريخ والذين كلمهم الله يأتي الجواب عن سؤال أنه لماذا لا يكلم الله البشر بما أنه لا يُرى فيزيل الشك عن حقيقة وجوده؟.

فنقول بأن الله يكلم من له أهلية تقبل خطابه وكلامه، فيجب أن يكون هذا الإنسان على درجة عالية من الإيمان بالله ومن العارفين به ومن المطيعين له المخلصين في علاقتهم معه ومن الذين يفنون حياتهم في إظهار هذه الطاعة ونشر مبادئه، فاعلم أنّ الله هذا الإله العظيم المالك للكون يقرِّب إليه من تقرَّب له ويدني من سعى إليه. فلو وصل أي إنسان إلى هذه الدرجة العالية من الإيمان به والتخلق بمبادئه وأخلاقه وأطاعه باخلاص وصِدق فأصبح ذو كرامة تؤهّله لأن يتصل به الله فسوف يتحقق ذلك: بسم الله ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٣] فقول الله هذا يؤكد ذلك، فالله يقرِّب إليه أصحاب الفضائل والصلاح ويحب المطيعين له ويبادلهم القربة فيقرِّبهم إليهم بدرجة ما يتقرّبون هم إليه، فدرجة الإيمان بالله والإخلاص له تختلف من شخص إلى آخر، والأنبياء هم أوضح مثال على ذلك حيث أنّ منهم من قُتل ولم يرجع

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة طه، الآية: ١٤.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة القصص، الآية: ٧.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، من سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

عن إيمانه بالله. فبعد ذلك ألا تحب أيها الإنسان أن تكون ممن يحبهم هذا الإله العظيم ويقربهم إليه فتسير في طريق طاعة الله وتسمو بنفسك في درجات الفضائل، فلا تظن أنّ ذلك حكر على إنسان دون آخر فالله يقبل طاعة أي إنسان أكان فقيراً أو غنياً، أبيضاً أم أسود فهل هناك أعظم من أن تكون حبيباً وقريباً من هذا الإله العظيم، فلا تتردّد وكن مع الصالحين والله سيُمسك بيدك ويسير بك في طريقه فهل هناك أكثر لطفاً من ذلك.

الرؤيا في المنام جزء من الوحي للبشر:

ذكرنا فيما سبق بأن الله امتاز بمعرفة ما في النفوس وما يجول في أذهان البشر، فهو يسيطر على الإنسان وعلى الكون فله التأثير على كل شيء في هذا الوجود. فمن تجليات تأثيره سبحانه على الإنسان بأنّه يملك السلطة على أذهان البشر ويستطيع أن يخاطبهم بوضع ما يريده من صور فيها وإخبارهم بأحداث سوف تحصل بواسطتها أو بحلول للمشاكل التي تعترضهم أو حل للألغاز في حياتهم والأهم من ذلك أنه يستطيع سبحانه أن يهديهم إلى السبيل المستقيم وسبيل معرفته عن هذا الطريق، طريق الإيحاء لهم بالرؤيا في المنام فيكون ذلك جزء من الوحي وطريق إلى هداية الناس وتدبير شؤون البشر، والوحي إلى من اختاره من خلقه. فهذه الظاهرة يمكنك التعرف عليها في حياتك اليومية، فكم يمر امامك من أخبار عن أناس قد رأوا أشياءاً في منامهم قد تحققت وكان لها التأثير الحسن في حياتهم، أو معضلات في

حياتهم أُرشدوا إلى حلها في منامهم وأخبار عرفوها خلال نومهم، فلو فتشت في حياة هؤلاء الناس وبعد أن عرفت بأنها تأثير إلهي من خالق الكون لوجدت عند هؤلاء الناس شيئاً في حياتهم من قرب لله تعالى أو معرفة بالله ولو بسيطة أو إيماناً به جعلهم يحظون بهذه الإلتفاتة وهذه المساعدة لهم لإخراجهم من همٍ أو غمٍ أو تسديد في حياتهم أو تغيير جذري لها نحو الخير والصلاح مِنةً من هذا الإله العظيم.

أمّا الأنبياء عليهم السلام فالوحي إليهم عن طريق المنام يخبرنا عنه الله سبحانه في عدة مواضع فمنها تسديد الله لسيد رسله محمد صلى الله عليه وآله في معاركه حيث يخاطبه سبحانه بسم الله ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾[١] والله قد أرى نبيه أعداءه في المنام حتى يطمئنه فلا يفاجأ بهم في الحقيقة، وكوحي الله لنبيه يوسف عليه السلام في منامه عن اخوته الأحد عشر وأمه وأبيه ليخبره بخبرهم[٢] بسم الله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ فأجابه أبوه النبي يعقوب العارف بالله[٣] بسم الله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ﴾ معتبراً بأنّ رؤياه في المنام هي بقدرة الله لأنّه كان من العارفين المقرّبين لله.

بما ذكرنا يتضح لك كيف أنّ الله يتولى أمور البشر ويتدخل في أقدارهم ويتولى إرشادهم وهدايتهم، فالله وإن كان لا يُرى ولكنه موجود في حياة الإنسان في كل لحظاتها، فحاول إذاً خلال حياتك

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الأنفال: الآية: ٤٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٤.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٥.

تتبع هذه القصص من منامات ووحي جرت لأُناس وابحث بنفسك عن ذلك فستصل إلى نتيجة وهي أنّ الله نعم موجود، وهو ذو تأثير في حياة الإنسان.

الملائكة واسطة لتنفيذ إرادة الله ومنها الوحي إلى البشر:

عرفت فيما بيّنا أنّ الله قادر على إدارة هذا الكون بمفرده وهذا من عظمة الله، فهو مريد قادر فاعل، وعرفت أنّه لا شريك له وذلك لأنّه مستغني عمّن يعينه وليس بحاجة إلى وزير يستشيره ولا إلى معين بعينه فهو الكمال المطلق اجتمعت فيه صفات الكمال فكل الصفات للفضيلة والكمال اجتمعت فيه وفي ذاته فليس له شبيه في الوجود ولا موجود يعانده أو يعارض إرادته، ولكنه بمشيئته خلق المخلوقات ليحقق إرادته وأمَرها بعبادته وإطاعة أوامره. فمن هذه المخلوقات الملائكة التي هي وجود لا يُرى بالعين البشرية خلقها سبحانه من نور، فهي تُرى على شكل أنوار فلا شكل لها ولكنها عقل مجرد لأن ما يميزها أنّها ليس لها غرائز ولا تعرف الشهوات فهي لذلك لا تعرف المعاصي وهي عابدة لله مطيعة له فليس لها أي رغبات بما يخص حياة الإنسان الدنيوية. هذه الملائكة تفعل ما يأمرها الله به ولكل منها عمل معيَّن تختص به وعن طريقها يدير الله شؤون هذا الكون فهي يده في هذا الوجود ومنفذة لإرادته مع تدخل الله في كل هذه الأمور، وبينها وبين الله حجاب فهي أيضاً كالإنسان لا ترى الله ولكنها على اتصال به وهذا ما يفرقها عن الإنسان فهي مؤمنة به لوجود هذا الإتصال بينما الإنسان اتصاله عن

طريق الأنبياء عليهم السلام فهو اتصال غير مباشر مع الذات الإلهية عكس الملائكة، ومن هنا جعل الله إيمان الإنسان به أعظم قدراً من إيمان الملائكة. واعلم أيضاً أنّه هناك أيضاً حجاب بين البشر وبين الله سبحانه فهو مع كل شيء ولكن دون أن يلحظه أحد إلا من تقرَّب إليه وأخلص في إيمانه به فعندها يرفع الله سبحانه شيئاً من هذه الحجب حيث أنها عديدة، فتكون لهذا الإنسان كرامة التواصل مع الله في العالم العلوي عالم القدسية والملائكة.

إذاً عالم الله العلوي بينه وبين الإنسان حجاب وهذا من أحد الأسباب التي تجعل الشك في نفوس البعض الذين يشككون في الله، ولكن الإنسان إذا ما سعى إلى التعرف على الله وآمن بوجوده فإنّ هذا الحجاب سوف يبدأ بالزوال شيئاً فشيئاً بحسب درجة إيمان هذا الإنسان، فإنّه كما قلنا بأن الله يقرِّب ويدني من تقرّب إليه بحسب ما يتقرَّب هذا الإنسان. ومن الأعمال التي أوكلها الله للملائكة هي الاتصال بالبشر وقد عُرف الملاك جبرائيل واشتهر بأنّه ناقل الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام فمثلاً عندما أتى جبرائيل إلى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وبلّغه بالنبوة فقال له[1] بسم الله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أيضاً من الملائكة الملك الذي جاء إلى السيدة مريم عليها السلام [2] وأخبرها بولادة عيسى: بسم الله: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ فبشرها بولادة السيد المسيح عليه السلام وكان قد تمثّل لها على صورة البشر، وكالملائكة التي أتت إلى النبي إبراهيم عليه السلام على صورة البشر فوضع

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة العلق، الآية: ١.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة مريم، الآية: ١٩.

لهم الطعام ولكن أيديهم لم تُرى أنها تلامس الطعام حين أخذوه فيصف الله لنا شعور نبيه عليه السلام عندها[١] بسم الله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أنّ الملائكة تتخذ شكل البشر ولكنها خلق غير مادي فليس لها جسم. وغيرها مما ورد في الكتب السماوية عن الملائكة التي كانت تتصل بأمر من الله بالرسل والأنبياء عليهم السلام، وكذلك عُرِف أيضاً عن الملاك جبرائيل بأنّه الروح القدس الذي كان يؤيد الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم كالسيد المسيح ومحمد ﷺ نبي الإسلام.

الله يتدخل في حياة الإنسان عبر الملائكة

ثمّ اعلم بأنّ الملائكة هي جنود الله في الأرض ومن خلال ما أخبرنا الله عن عملها يتضح لنا أكثر فأكثر كيف يتولى سبحانه تسيير شؤون الإنسان والكون. فهناك مع كل إنسان ملكين يحصيان عليه أعماله وما يفعل وما يفكر من تفكير حسن أو سيء فهم يعملان عمل الله[٢] بسم الله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ فالرقيب على الإنسان هم الملائكة، وكما قلنا بأنّ لكل إنسان كتاب يحوي أعماله ليوم الحساب وهو ما يكتبه هؤلاء الملائكة. واعلم أيضاً لنؤكد بأنّ الله يتدخل في أفعال الإنسان ومصيره بأنّه هناك لكل إنسان ملائكة تحفظه وتتدخل في حياته إذا أراد الله[٣] بسم الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ فإذا كان هذا

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة هود، الآية: ٧٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة ق، الآية: ١٨.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الانفطار، الآية: ١٠.

الإنسان مؤمناً بالله ودعا الله ليعينه في الشدائد تدخلت هذه الملائكة بأمر من الله لتساعد هذا الإنسان، فتدخل الله وملائكته في حياة الإنسان يعود إلى مدى إيمان وارتباط هذا الإنسان بالله وهذا التدخل أكثر ما يتجلى في حياة الأنبياء عليهم السلام.

أمّا سكن هذه الملائكة فهي السماوات وهي تعبد الله فيها وتسبِّحه وتقدِّسه وتتولى حراستها من الشياطين المتطفلة على أهل السماء فترميهم بشهب إذا ما اقتربوا[1] بسم الله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾. ثمّ تولِّي الله شأن الإنسان والخلق لا يكون فقط على المستوى الشخصي بل على مستوى الكون فالمطر وسير السحاب هو أيضاً موكل إلى الملائكة وإن كنّا لا نلاحظ ذلك للحجاب الموجود بيننا وبينهم ولكن الله يرسل السحاب أين يشاء ويأمر الملائكة بذلك بسم الله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[2] والسوق للسحاب يكون عن طريق الملائكة ليحيي الله الأرض ومن عليها ففعلاً أنّ استمرار حياة الإنسان بيد الله ومشيئته، فكذلك الظواهر الطبيعية من زلازل وخسف فهي بيد الله فيأمر الملائكة بها، وقصة مدائن لوط التي أخبرنا عنها القرآن الكريم عندما جاءت الملائكة إلى النبي إبراهيم لتخبره بما أُمِرت به من تدمير هذه المدائن فأجابهم إبراهيم عليه السلام[3]: بسم الله: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ فهذا يدلنا على قدرة الله وبأنّه يعلم بكل ما يوجد وبكل ما سيحدث والتاريخ يخبرنا

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية: ١٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة فاطر، الآية: ٩.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية: ٣٢.

فعلاً عن تدمير هذه المدائن التي كانت موجودة في مناطق البلاد العربية.

للإشارة أكثر إلى وجود الله وعالم الملائكة المرتبط به فنتكلم عن عمل أشهر الملائكة عند الإنسان وأكثر ما يخشاه هذا الإنسان وهو ملك الموت عزرائيل، وهذا الملك عمله هو أخذ روح الإنسان من جسده إلى عالم آخر عالم ما بعد الموت وعزرائيل يمثل أقرب الأمثلة وأوضح الظواهر لإثبات وجود الله وارتباط الإنسان به والتأثير الإلهي عليه في حياته وتدخل الله في مصيره وتقدير أموره، فظاهرة أو حالة الموت ممّا لا يمكن لأحد من البشر إنكارها، ونفس وجود الروح في الجسد وخروجها عند الموت ممّا اتفق عليه العلماء والفلاسفة فلا يمكن إغماض عين أي إنسان عنها. ولكن هل رأى أحد منّا الروح وهي تخرج من الجسد عند الموت وهل رأى أحد منّا الملاك عزرائيل وهو يُخرج هذه الروح مع أنّه يقوم عليه السلام بأخذ أرواح البشر يومياً وفي كل بقاع الأرض وبأعداد كبيرة بالمئات والآلاف ونحن لا نراه ولا نلحظ وجوده، فإذاً وجود الله وملائكته هو واقع فعلي واضح، وتأثيره على حياة الإنسان جلي فإذا كنا لا نرى ملك الموت مع إن ارتباط حياة الإنسان به شديدة ودائمة وتأثيره عليه كبير فكذلك وجود الله فتأثيره على حياة الإنسان دائم وكبير وتأثيره على مصيره والتقادير له شديد مع أنّنا لا نراه ولا نلحظ وجوده، فإذا حاولنا إنكار ذلك فهل ننكر أيضاً حالة الموت وخروج الروح وهي أمامنا كل يوم وكل ليلة فهذه مكابرة وإغماض للعين عن الحقيقة الجلية. وأن تدّعي أنّ الله وملاكه عزرائيل غير موجودين وأنّ الروح تخرج لوحدها من الجسد، فلكانت هذه

الروح تبقى إلى الأبد عندها في جسد الإنسان لحب الحياة والتعلق بالدنيا خاصة عند الإنسان الغارق في الملذات ولأبت الخروج لولا أن هناك من يخرجها فهذا غير معقول وغير صحيح، والله يؤكد حقيقة علاقة الموت وعلاقة كل هذا الوجود به فيقول سبحانه في كتابه[1] بسم الله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فهنا الله يؤكد بالخبر اليقين عن نفسه بأنّه هو الذي يتوفى روح الإنسان المعبَّر عنها بالنفس حين الموت، فهل ما زال هناك شك بوجود الله وارتباط حياة الإنسان به فالموت وحقيقة الموت خير دليل على ذلك. فاغتنم أيها الإنسان حياتك قبل لحظة الموت وتعرف على الله وعلى قوانينه فكن على يقين بأنّ ما بعد الموت هو أصعب ممّا في هذه الحياة من شقاء إذا لم تكن مؤمناً بالله.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية: ٤٢.

الله لا يُرى فلا يدرك بالحواس

الله لا يُرى بالأبصار:

قصص الأنبياء عليهم السلام كثيرة في التاريخ وكلّها صحيحة والتاريخ صادق في سردها وقد حدثت فعلاً فهذا ممّا لا شك فيه. ومن هذه القصص قصة تكليم الله للنبي موسى عليه السلام وهي مشهورة وقد حصلت في جبل الطور في سيناء حين بلّغ الله نبيّه شريعته وتعاليمه المعروفة، فعندها طلب النبي موسى عليه السلام رؤية الله ونحن كنا قد قلنا بأنّه سبحانه ليس وجوداً مادياً وليس له جسم ولا شكل. فحاول تعالى وتبارك أن يُفهم هذه الحقيقة لنبيه وتعريفه بطبيعة الذات الإلهية وأنّه لا يرى بالأبصار بل أكثر من ذلك، فإنّ الله أراد أن يُظهر عظمته وقدرته المطلقة وتأثيره في الكون وأنّه فاعل مؤثِّر على الموجودات بما لا يتصوره الإنسان وتفكيره وأنّ كنهه هو أنّه إله عظيم لا يتصوَّر فأراد أن يقرِّب هذه الفكرة لنبيِّه فأمره أن ينظر إلى جبل[1]: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ فكلام الله واضح وطبعاً كما قلنا بأنّ الله استعمل الكلام

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

المعروف عند البشر باحداث الكلام لأنّ واسطة التخاطب بين الله وكل مخلوق بحسبه فالله متكلِّم. إذاً فعندما تجلّى للجبل الله بعظمته وقدرته وتأثيره على الوجود تناثر هذا الجبل قطعاً وحصل انفجار كبير عظيم، فنفهم بذلك بأنّه مع أنّ وجود الله خفي ولا يُرى بالبصر لأنّنا نحن نرى تشكل المادة بحدودها من جهاتها المختلفة التي تظهر بصورة جسم وليس لله جسم ولا مادة ليظهر لبصر، ولكنّه مؤثِّر فاعل في الوجود بقدرة عظيمة لا يمكن أن نتصورها وهو بهذا التأثير يسيطر على الكون ويهيمن على كل موجود ويسيِّره بما يريد ويشاء، حتى الإنسان ولكنّنا لا نلحظ ذلك لأنّه كما قلنا هناك حجاب بيننا وبين الله. وفي هذا المثال فقد رفع الله هذا الحجاب بينه وبين نبيِّه لكرامة نبيّه عنده وأراه قدرته، وهذا مثال لقدرة الله تعالى فمن خلاله نستطيع فهم كيف أنّ إرسال الصواعق وإنشاء الريح وافتعال الزلازل والبراكين هو شيء يسير عادي عند الله بحسب هذا المثال. وأصبح من القريب لافهامنا استيعاب كيف أنّ الله يمسك بالشمس والقمر والكواكب وكل هذا الكون لأننا لم نرى في هذا المثال إلا عيِّنة عن قدرة الله المطلقة وهذا ما أراد الله بيانه لنبيّه ليثبت له بأنّه إله وليس له صفات البشر فكان من تأثير ما حصل أنّ موسى عليه السلام أغمي عليه[1] بسم الله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ ثمّ أفاق بعد حين وأيقن بأنّ الله غير ما نتصوّر وليس له صفات البشر.

بعد هذا هل ما زال هناك شك في قدرة الله المطلقة؟، وهل ما زال هناك شك في أنّه الإله الوحيد لهذا الكون والممسك به وروحه التي إذا

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

زالت يزول معها. فإذا كانت الأمم السابقة قد عبدت الكواكب لتأثيرها وقدمت لها القرابين وخضعت لها لأنّها عظيمة بنظرهم أفلا يجدر بنا نحن أن نخضع للإله الحقيقي العظيم لهذا الكون ونعبده بعد أن عرفنا قدرته المطلقة وتأثيره وعظمته، فعليك أنت أيها الإنسان أن تحكم بنفسك بعدما عرفت فلا تكن كإبليس الملعون الذي يعصي الله تعالى ويحرف البشر عن طاعة الله ثمَّ يقول(١) بسم الله: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ وفي آية أخرى(٢) ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ وذلك لأنّه يعرف عظمة الله وقدرته ولكنّه مع ذلك يعصيه عناداً وتكبراً.



(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنفال: الآية: ٤٨.

الله فاعل محركٌ للوجود

الله فاعل مؤثر:

عرفنا حتى الآن بأنّ الله سبحانه هو هذا الإله العظيم الموجود مع كل شيء والذي يتحكّم بمصير الكون والبشر. فحتى يتضح كل ذلك فاعلم بأن الله فاعل يمارس قدرته ونفوذه على الأشياء وعلى البشر بمعنى أنّه مؤثر عليها محرِّك لها، ولكن لا بمعنى أنّه يتحرك كالآلة ليحرِّك الأشياء بل إنه يحرّك الموجودات بتأثير منه عليها فهو تعالى ليس بحاجة لأن يتصل بالأشياء ليحرِّكها لأنه كما قلنا موجود مع الأشياء دون أن يحلَّ بها أو يتّحد معها أينما كانت والمثال الواضح لذلك هو ما ذكرناه في قصة النبي موسى عليه السلام عندما تجلّى الله للجبل فبتأثيره عليه دون أن يكون اتصال مباشر ودون أن ينتج عن حركة من الذات الإلهية فإذا بالجبل أصبح دكاً دكا أي تناثر إلى أجزاء صغيرة. فلنفترض أنّ موسى عليه السلام لا يعلم بأنّ الله موجود معه وقد أثّر على الجبل فلكان بحسب تحليل الإنسان قد ظن أنّها من تأثير القوانين الطبيعية، فكم من أشياء وأشياء إذاً تحصل حولنا بقدرة الله وتأثيره ونحن نظن أنّها بسبب القوانين الطبيعية وذلك لأنّنا لا نلحظ وجود الله

معنا وحولنا، ولكنه سبحانه ولإثبات نفسه فكان يبيّن للأنبياء عليهم السلام هذه القدرة وهذا التأثير كما في شقّ البحر لموسى عليه السلام حيث مرّ قوم نبي بني إسرائيل بين شقي البحر وهي قصة مشهورة في التاريخ، ثم عند مرور جنود فرعون عاد البحر كما هو فأغرق جنود فرعون، وكما قصة ولادة السيد المسيح عليه السلام بلا أب وحمل السيدة مريم عليها السلام بقدرة الله وهي البتول العابدة والتي لم تتزوج والتي جعلت لإثبات قدرة الله وتأثيره في هذا الكون على كل شيء لتكون عبرة للناس ليؤمنوا به.

لتأكيد ذلك فخذ مثالاً أعطاه الله وهو الموت وخروج الروح(١) بسم الله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلو كان الميِّت يلحظ وجود الله في هذه اللحظة لدَفع عنه الموت ولمنع ذلك أو لحاول منعه مع أنّنا نلاحظ بأنّ الشخص لحظة الاحتضار لا يقاوم مع أننا متأكدِّين بأنّ ملك الموت موجود وهو يقوم بقبض روح الميِّت، إذاً فالله سبحانه مؤثِّر في كل شيء وموجود مع كل شيء ولكن دون أن نشعر. أمّا الإنسان المؤمن بالله والساعي إليه فإنّ الحاب الذي بينه وبين الله سينكشف وسيلحظ وجوده وقصص الأبرار مليئة بها الكتب، وكذلك فالله محيط بالأرض والقمر والكواكب ويمارس عليها قدرته وتأثيره فهو ممسكٌ بها حقيقة ويؤكده قوله تعالى في كتابه الكريم(٢) بسم الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ فنحن نعرف الأن بأنّ الله هو الذي يمسك الطير في الهواء وأنّ القوانين

---

(١) المصدر: القرآن الكريم، من سورة آل عمران، الآية ١٦٨.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، من سورة الملك الآية: ١٩.

الفيزيائية وتنظيمها الذي أوجدها من الأصل فهو الله أيضاً، وهنا نفهم مدى القوة الهائلة والقدرة العظيمة التي يملكها الله ليمسك بها الشمس والقمر والأجرام الضخمة ويستطيع تحريك هذه الأجرام والسيطرة على قوانينها الطبيعية، وفي المثال رأينا القوة الكبيرة التي رآها النبي موسى عليه السلام فجعل الله الجبل دكاً وقِطع صغيرة متناثرة.

إذاً فيتضِّح لنا معنى وعظمة الألوهية عند الله وكيف أنّه سبحانه هو المحرِّك للوجود والذي ليس بحاجة لأحد ليعينه وكيف أنّه المحرِّك دون أن يكون هناك محرِّكاً له فهو المحرِّك الأول لكل حركة الكون، وهو القديم الذي ليس قبله شيء وهو أصل كل حركة في الكون. وهنا نستطيع أن نستوعب بدء الحياة وحدوث الخلق والكون بهذه القدرة العظيمة[١] بسم الله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فالله هو الذي حرّك الحياة وهو المحرِّك لنفسه الذي ليس بحاجة لأحد، ويتّضح لنا أيضاً كيف أن بقاء الكون وبقاء الحياة متعلّق بتأثير الله المحرِّك للوجود وإحاطته به والإمساك بكل شيء وهو الذي لا يغيب حتى للحظة واحدة لأنّ الله لا ينام ولا يغفل ولا يسهو ولو للحظة فتأثيره لا يزول ولو لحظة واحدة، فاستمرار الكون قائم به ولا يستغني عنه، واستمرار انتظام حركة الكون مرتبطة بالله المحرِّك الفاعل المؤثِّر. فمتى أراد الله يستطيع إيقاف حركة أي موجود ونحن نرى لذلك شواهد في التاريخ، كانتهاء مرحلة الزواحف الضخمة في الأرض بموجة صقيع قاتلة، وقد سبقت وجود الإنسان فكانت نهايتها

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

لحكمة عند الله ولعلها إيجاد الإنسان حيث أنّه لم يكن باستطاعته التكيّف مع هذه المخلوقات الضخمة فوجود الإنسان كان أهم من وجودها وكذلك الأمم[1] بسم الله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فلكل أمة نهاية جعلها الله لها.

واعلم بأنّ الله المحرّك للكون لا يبذل جهداً للقيام بأفعاله هذه فهو سبحانه لا يتعب، لأنّ التعب ينتج عن الحركة المستمرة وعن الانتقال من مكان إلى مكان وعن القيام بالأعمال الصعبة أمّا الله فأفعاله لا عن حركة بل عن تأثير. فكما قلنا بأنّه لا يفعل عن حركة كالآلة فهو ليس جسماً له أعضاء ليحركها، وهو سبحانه موجود في كل مكان ولا يخلو منه أي شيء فليس بحاجة ليتحرَّك لينتقل من مكان إلى مكان، وهو قادر على كل شيء فليس هناك عمل صعب بالنسبة له فقدرة الله لا يستطيع تصوّرها الإنسان وهذا الكون الضخم المتنوع شاهد على قدرة الصانع له، فلكل ذلك فالله لا يصيبه الجهد فهو لا يتعب فلا يحتاج للراحة ولذلك ورد في بعض الأدعية الواردة عن العارفين به بأنّه المرتاح فلا يتعب ولا يجهد ويؤكد ذلك قوله سبحانه[2] بسم الله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ فكلامه سبحانه واضح فهو لم يصبه الإعياء حين خلق هذا الكون والإعياء هو التعب.

ثمَّ قد تبيَّن لك فيما قبل كيف أنّ الله يقوم بكل الأفعال في الأمكنة المتباعدة في الأرض في نفس الوقت وذلك لأنّك عرفت بأنّه سبحانه

---

(١) المصدر: القرآن الكريم. سورة الأعراف، الآية: ٧.

(٢) المصدر: القرآن الكريم.

موجود في كل الأمكنة في نفس الوقت، فهو ليس بحاجة للإنتقال من مكان إلى مكان ليمارس تأثيره ونفوذه على الأشياء وهذا يفسر كيف أنّه فاعل في كل الأمكنة في هذا الكون في نفس الوقت، ويفسّر أيضاً معنى أنه الذي يمسك بهذا الكون الواسع في نفس اللحظة ويديره، وكيف أنّه سبحانه لا يتعب ولا يعيى في القيام بذلك فالله كما يوصف «ولا يشغله فعل شيء عن فعل شيء ولا علم شيء عن علم شيء» فلذلك فالله هو الإله الواحد ولا إله غيره ولا شبيه له ولا خالق ومدبِّر للكون غيره، فهو يدبِّر أمور البشر في نفس الوقت رغم كثرتهم وإتساع انتشارهم، فهل في كل ذلك عبرة للإيمان به والتعرف عليه.

انتظام الكون لأنّ الله لا إله غيره ولا معارض لفعله:

عرفنا حتى الآن بأنّ الله يمثّل في هذا الوجود الكمال المطلق في الصفات وفي الجوهر، وأنَّه صاحب القدرة المطلقة ولا إله غيره ولا موجود في هذا الكون يستطيع الوصول إلى كماله ولا إلى بعض هذا الكمال في الصفات فمعنى الإله أنّه كامل وأنّه الأكمل، ولذلك فليس لله منافس في هذا الكون فلا قدرة فيه تعادل قدرته أو تصل إلى جزء منها بعدما عرفت من قدرة الله المطلقة والقوة الهائلة لهذه القدرة والتي أراد الله أن يعطي مثالاً لها لنبيّه موسى عَلَيْتَلِاِ . كما رأينا. فينتج عن ذلك أنّه لا قدرة في هذا الكون مهما بلغت تستطيع أن تواجه قدرة الله أو تبطلها أو التأثير عليها وهذا هو سبب نفوذ مشيئة الله وأنّه إذا أراد شيئاً فإنّ إرادته حتمية الوقوع. فالله هو إله لا معاند له ولا ندّ له ولا

مماثل له وهذا هو معنى الألوهية ثمّ أنّه واحد لا آخر معه ولا شريك وهذا منتهى الكمال لألوهيته.

إذاً بما عرفنا يتّضح سر انتظام هذا الكون ودقة سيره وهو أنّه ليس هناك إلا قوة واحدة فاعلة مؤثرة عليه نافذة مشيئتها وأمرها فيه فلا يوجد قوة أخرى تستطيع التأثير عليه أو الإخلال بانتظامه. ومن سر انتظام الكون أيضاً كما أشرنا سابقاً هو أنّ الذات الإلهية وحدة واحدة ليس لها أجزاء ولا مركبّة ولا يخلو منها مكان، إذاً فالله فاعل مؤثّر على كل الموجودات في وقت واحد فلذلك لا يمكن للفوضى أن تصيب الكون لأنّ المحرِّك واحد يحرِّك كل شيء بتناسق فيما بينها دون أي خطأ لأنّه سبحانه الصانع العالم بكل أسرار خلقه فلا بدّ أن يسيِّرها بلا أي خطأ فأفعاله سبحانه في كل هذا الكون تنتج عن مركز واحد وهو الله فلذلك فإدارة هذه الأفعال ليست بحاجة إلى اتصال بينها ولا واسطة وهذا أيضاً من صفات الكمال عنده سبحانه وسبب دقة انتظام هذا الكون وعمره الطويل الذي يقدّر ببلايين السنين. فبعد كل هذا ألا يستحق هذا الإله العظيم أن نطيعه ونستمع إلى أنبياءه لنعرف ماذا يحدِّثون عنه وما هي شريعته في هذه الأرض، فمن وضع هذا النظام الدقيق والذي يمتلك كل هذه الصفات أليس هو الأجدر بأن يضع نظام حياة الإنسان ويتولاه؟.

فعل الله وتأثيره حتى على نفوس البشر:

قلنا أيضاً فيما سبق بأنّ الله يتحكَّم بمصير البشر كما أنّه يتحكّم بمصير الكون وآن الأوان لنقول أنّ توضيح ذلك هو لأنّ الله فاعل محرِّك ومؤثر ليس فقط على الأشياء بل حتى على الإنسان، فتأثيره سبحانه أيضاً على نفس الإنسان وقلبه وعلى أعضاءه. ثمَّ بما أنّ مركز الشعور عند الإنسان هو القلب فأكثر ما يبرز هذا التأثير هو عليه، لأنّ الإنسان يتحرَّك في هذه الحياة تبعاً لشعوره وإنفعالاته ويبني علاقاته مع الآخرين وطبيعة تصرفاته ونهجه حسْبه، ويبني على أساسه شخصيته فإمّا أن يكون فرداً متفاعلاً مع محيطه وصالحاً يعمل للخير إذا كان قلبه محباً لله وإمّا يتفاعل سلبياً مع محيطه فيكون فرداً فاسداً إذا كان قلبه فاسداً.

الله قد أخبرنا لذلك في كتابه بأنّه خلق هذه النفس وهذا القلب ويعلم أسرارهما وقال سبحانه: بأنهما تحت سيطرته وتأثيره وبأنّه قادر على الإنسان من خلالهما[1] بسم الله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ والصدر يحوي القلب فالله يعلم ما في القلوب وقال أيضاً: بسم الله ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾[2] وكثير من آيات الكتاب التي توضح ذلك بسم الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3] والتزكية هي التنقية من الأمراض وهو هدف لله في الخلق لبناء النفس الصالحة. وذكرنا أيضاً أنّه من طرق مخاطبة الله للبشر هو إحداث شعور لدى الإنسان يفهم منه

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة غافر، الآية: ١٩.
(٢) المصدر: القرآن الكريم.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة الشمس، الآيات: ٧،٩.

معنىً معيناً، إذاً فالله فاعل مؤثّر على نفس الإنسان وقلبه وهو يستعمل ذلك لهداية الناس إلى طريق الخير والصلاح وهو قد أوضح ذلك في كتابه بقوله: بسم الله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾(١) فمن خلال ما ذُكر يتبيّن كيف أن الله يتحكّم بمصير الإنسان نحو الخير ويؤثّر في المجتمعات تبعاً لإرادته، وتأثير الله على نفس الإنسان يكون في كثير من الأحيان تابعة لإيمان هذا الإنسان بالله. أمّا نفس الإيمان فقد ترك الله الخيار للإنسان لأنّه اعتبره في امتحان على هذه الأرض وعليه أن يختار بنفسه، فالقلوب التي تؤمن بالله يتولّى هو تحريكها فيجعل فيها الرحمة والشفقة لأنّه يريد لخليفته في الأرض أنّ يكون ممثلاً ومثلاً للقيم الإلهية من فضائل وإرادة خير ورحمة لكي يكون مجتمع هذا الإنسان متجانساً مع حاكمه وخالقه، أمّا القلوب التي لا تؤمن بالله فإنّ الذي يحركها هي الأهواء للإنسان ومصالحه وأنانيته فما أكثر الأمراض التي تصيب النفس حينها وبالتالي ينتج عن ذلك مجتمع ينتشر فيه الفساد وبعيد عن خالقه وقيمه لذلك قال سبحانه ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾(٢)، فأصبحنا نفهم بأن سبب فساد النفوس والمجتمعات هو الإبتعاد عن الخالق وعدم الإستجابة لتأثيره الحسن على القلوب فانغمست هذه القلوب في المادية والمصالح والأنانية وفقدت الرحمة والمحبة والخير لبعدها عن مصدره وخالقه.

---

(١) المصدر: القرآن الكريم. سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.
(٢) المصدر: القرآن الكريم. سورة البقرة، الآية: ١٠.

تأثير الله أيضاً على أعضاء الإنسان:

ثمّ فِعل الله وسيطرته يمتد أيضاً إلى أعضاء الإنسان ودائماً الدليل هو كلام الله في كتابه العزيز بقوله[١] بسم الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فسبحانه واضح في تصريحه بأنّه يستطيع أن يبطل سمع وبصر الإنسان وهو عليه يسير لأنّه هو الصانع والمركّب لهذا الإنسان فهو الأدرى بعمل أعضاءه وتركيبها والقادر على إبطال عملها كيف لا وهو القائل عن هذا الإنسان[٢] بسم الله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾فالله قريب إليه إلى هذه الدرجة فكيف لا يستطيع التأثير على جسده وأعضاءه وهو يرى بما في داخل الأشياء ويؤثر عليها، ويقول سبحانه في الكتاب العزيز أيضاً[٣] بسم الله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وهنا أيضاً الله واضح في كلامه بأنّ له التأثير على بصر الإنسان فإذا أراد فإنّه يفقده هذا الإبصار فلا يرى، وإذا أردت التعمق فيها فاسأل العارفين بالله عنها فهي معروفة عندهم تستعمل عند وجود العدو فإنّه لا يراك ولا يلحظ وجودك مع أنّك في بعض الأوقات موجود على مرمى بصره القريب، لذلك فهم يعلمون ويقولون بأنّ الله على كل شيء قدير لأنهم قد جربوا ذلك ورأوه بأعينهم وفي الواقع. ففعل الله وتأثيره كان واضحاً في دفع العدو عن نبيّه محمد ﷺ ففي القرآن الكريم موجود[٤] بسم الله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) المصدر: القرآن الكريم، سورة يس، الآية: ٩.
(٤) المصدر: القرآن الكريم، الإسراء، الآية: ٤٥.

ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ فهذا الحجاب كان يمنع الأعداء عنه ﷺ ويبطل عمل حواس الأعداء رغم أنهم ينظرون، وهو حجاب من تأثيره سبحانه فالعدو لا يرى ذلك وحتى النبي ﷺ لأنّ فعل الله وتأثيره هو موجود قريب منك ولكن هناك حجاب يمنعك من ملاحظته ولن تلاحظه إلا إذا آمنت بخالقك وعرفت صفاته التي ذكرناها فعندها يصبح تأثير الله على نفسك وقلبك وحياتك جلياً، فما حالات الإنتحار في هذا الزمن إلا ليأس الإنسان واضطراب نفسه، لإنغماس هذا الإنسان في الحياة المادية وإقفاله الطريق على تأثير الله الحسن على قلبه ونفسه ولعدم الإيمان بأنّه سبحانه فاعل قادر ذو تأثير على حياته فعندها لن يستطيع الله مساعدة هذا الإنسان لأنّه لا يؤمن به ويتركه لمصيره الذي يؤدي به إلى الهلاك.

فأيها الإنسان إنّ مصير حياتك تابع لإيمانك بالله أو عدمه فإذا آمنت به تصبح في رعايته وعنايته وقد أوجب ذلك على نفسه بقوله(١) بسم الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهذا واضح من خلال هذا الكلام فالله كما قلنا هو المعين لمن آمن به، وأمّا من لم يؤمن به فعرفت بأنّه سبحانه غني عن كل خلقه لا يزيده شيئاً من آمن ومن لم يؤمن به، فيتركه لمصيره وهو صريح في قوله سبحانه(٢) بسم الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ فإنّ إتباع من لا يؤمن بالله لا

---

(١) المصدر القرآن الكريم.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

يؤدي إلا للإنغماس في الفساد وفي ظلمات هذه الحياة، وحمل الأفكار والمبادىء المُنكرة لله لا تؤدي إلا لإزدياد هذه الظلمة حتى يعمى هذا الإنسان عن حقيقة الحياة. فانظر أيها الإنسان ماذا ستختار لنفسك ولحياتك حتى تكون في عناية الله وتأثيره أو تعيش في الضياع والإضطراب المؤدي إلى الهاوية.

في النهاية كلنا يعرف بأنّ السيد المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص بقدرة الله، وفعله هذا يؤكد أفعال الله عند الإنسان وتأثيره في حياته، وخاصة بث الروح فيه كما في معجزة السيد المسيح عليه السلام عندما أعاد الروح إلى ميّت. وكلنا يعرف قصة النبي يعقوب أيضاً عليه السلام عندما ارتدّ إليه بصره بعد أن عاد إليه النبي يوسف عليهما السلام وبقدرة الله ليثبت للإنسان بأنّه هو المؤثّر بأفعاله التي ليس لها حدود لأنّ التأثير عليه أهون من نفس الخلق، ثمّ قصة موسى عليه السلام مع فرعون عندما قال الله لموسى وأخيه هارون بسم الله ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1] فإنّما أراد سبحانه أن يقول لهما أن بيده مجريات ومصير الأمور وأنّه هو الفاعل المؤثّر في الأمور والأنفس والأحداث، وليس عليهما إلا تبليغ الرسالة لفرعون أمّا تسيير الأمور فهي له، ويحاول الله توضيح هذه القاعدة للإنسان ليعرِّفه بأنّه سبحانه هو الفاعل والمؤثر على كل الوجود وليس فقط على الإنسان فيقول[2] له بسم الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فكلام الله

(١) المصدر: القرآن الكريم. سورة طه، الآية: ٤٦.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية: ٢٣، ٢٤.

واضح بأن تأثيره سبحانه هو الأساس فهو المحرِّك للكون والإنسان والأحداث، ويعلم بما في فكر الإنسان وبما في قلبه ومؤثر عليه فإذاً فهو قادر على إبطال أي فعل من أفعال الإنسان بقدرته وتأثيره، وقادر على عكس ذلك بأن يهيء له الأسباب للقيام بهذا العمل وأيضاً بقدرته وتأثيره.

ولأنّه سبحانه موجود مع كل شيء في كل مكان وفي كل لحظة فهو محيط بالموجودات وبيده أمورها ومنها الإنسان، وكما بيّنا فيما قبل فهكذا يتحكّم سبحانه بمصير هذا الكون وبمصير الإنسان. إذاً فهكذا أيها الإنسان عرفت الآن أنّ الله هو إله لا مثيل له ولا شريك وأنّ الوجود بيده يحرِّكه كيف يشاء فعليك أنت أن تسعى إليه وتؤمن به ليملأ وجوده حياتك بمعرفته فتصبح في عنايته ويوصلك إلى الصلاح بقدرته وإلى المجتمع الصالح بتدبيره وإتباع قوانينه.

أفعال الله تتّصف بالحكمة والمصلحة:

الله إذاً هو الكمال المطلق في هذا الوجود ولا يسمَّى الإله إلهاً إلا بذلك ومن غير الممكن أن يكون هناك كمالين مطلقين في الوجود، فلا يسمى أحدهما بالكمال المطلق إذا كان هناك مثيل ينافسه في صفاته ويتفوَّق عليه فلا بدّ أن يكون واحداً. ثمّ توضَّح لنا بأن خلق الله قائم على الحكمة البالغة والتناسق بين الموجودات بشكل دقيق وأنّ ذلك دليل على وجود صانع حكيم وقد بيَّنا أنّ الحكمة لا يمكن أن تصدر إلا عن حكيم، فهذه الحكمة تمتد إلى أفعال الله، فلاحظ بأنّه سبحانه ينزل

المطر في السماء إذا جفت الأرض وعطشت فترتوي لينبت فيها الزرع الذي هو سبب في استمرار حياة الإنسان، وإذا جاء موسم التلقيح للنباتات والأشجار المثمرة أرسل سبحانه الريح لنقل اللقاحات من الأشجار الذكر إلى المؤنثة فالله واضح بأنّ فعله وقصده هو لخير الإنسان(١) بسم الله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾. فهي بشرى ورحمة لأنها تحمل الثمار والخير واستمرار الحياة للإنسان.

وإذا أولدت المرأة احتاجت إلى الحليب لترضع طفلها فيعمل الله بقدرته إلى زيادة الهرمونات ويناسبها مع احتياجات جسدها لإنتاج الحليب الذي يحتاج إليه الطفل لنموه، وإذا جاء وقت إيناع الثمار فتحتاج إلى حرارة عالية فتلاحظ أن الله بقدرته يُحمِّي الجو بشمسه التي خلقها لفائدة الإنسان فتصبح جاهزة بارتفاع الحرارة في هذا الموسم، وغيرها الكثير من هذه الأمثلة، فلو لاحظت ودققت في مسير هذا الكون لوجدت أنّ كل ما يتحرّك بفعل الله وتأثيره هو لمصلحة الإنسان ولفائدة معينة له أو لغيره من المخلوقات فكلها لمصلحة واضحة ولفائدة جلية وهي تلبية حاجات المخلوقات والإنسان واستمرار نظام الحياة البشرية والكونية، إذاً فكل ما يصدر عن الله من فعل وتأثير هو لمصلحة وحكمة فالحكمة عند الله ليست في خلقه فقط بل في أفعاله أيضاً.

فإذا تأكدنا من ذلك فما إرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام إلا أيضاً

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

لمصلحة ولحكمة الاستمرار السليم لحياة هذا الإنسان، فالأنبياء إنّماجاؤوا بفعل من الله وقصد منه لتربية النفس الإنسانية على القيم والأخلاق والمثل العليا التي يمثلها الخالق، وجاؤوا لتنظيم المجتمع الإنساني ووضع القوانين له وفي ذلك بناء المجتمع العادل القائم على أساس احترام حق الأفراد والمساواة بينهم، وعلى أساس الثواب والعقاب الذي به يصلح المجتمع وفي ذلك أكبر مصلحة للإنسان والتي يسعى إليها منذ تأسيس المجتمعات الإنسانية. فهنا نخرج بعبرة وهي أنّ هذه المنظومة الشمسية التي نعيش فيها والتي وضع لها الله قوانينها، فلأنها التزمت بهذه القوانين ولم تخالفها ولأنها لمصلحتها ضمنت لنفسها المسير المنتظم منذ ملايين وملايين السنين، أمّا الإنسان ففي الفترات التي التزم فيها بالقوانين التي جاء بها الأنبياء والتي هي لمصلحته، استطاع هذا الإنسان أن يبني المجتمع الصالح لأنّه باتباع القوانين الإلهية فعل ما ينفعه ويصلحه وابتعد عمّا يضرّه فذلك هو جوهر هذه القوانين وذلك هو جوهر الدين وهذا ما حصل في مثال إنتقال المجتمع العربي من البادية إلى حضارة الإسلام، أمّا حين نبذ الشرائع السماوية وبَعُد عنها ولم يستجب لإرادة الله التي تحقق مصلحته عاش في آلام وشقاء وفوضى اجتماعية وعدم توزيع عادل للثروات، وهذا ما نراه الآن في المجتمعات المادية البعيدة عن القيم الروحية والتي يميزها سيطرة القوة والبطش وسيطرة القوة المالية وهيمنة أقوام على أقوام آخرين واستغلالهم لهم ولثرواتهم، فسلبوا منهم الحقوق التي أعطاها الله سبحانه للأفراد بالتساوي ودون تمييز، فترك الإنسان حكم الله العادل الرحيم وإتّبع شريعة الغابة في القوة

والسيطرة وحتى أنّهم أنكروه وهو ما أوصلهم إلى هذه النتيجة وهذا الظلم في المجتمع. فما قانون الثواب والعقاب وإخبار الله للإنسان بأنّه محاسب بعد الموت على أفعاله إلاّ لمصلحة الإنسان، وحافزاً له للعمل الصالح وترك أعمال الشر، وتابعة لحكمة إيجاد المانع لدى النفس الإنسانية من إطلاق العنان لها ولأهواءها، وما الظلم الذي ينتشر في الأرض إلا بفعل الإنسان نفسه وخذلان الله له بتركه لمصيره لأنّه اتّبع إبليس الذي يدعو إلى الرذيلة والفساد وابتعد عن الله، إذاً فإذا كان سبحانه قد خلق كل شيء لمصلحة الإنسان ووضع له القوانين لمصلحته ولسعادته، وأخبره بأنّه معه ومعينه طالما أنّه يعمل لمصلحته هذه وللبناء الصالح، فهل من الحكمة عند هذا الإنسان أن يترك الله الحاكم الذي وضع كل شيء لصالح رعيته ويتبع ما يضره ويؤدي به إلى الهلاك، فعليك أيها الإنسان أن تختار وترى ما هو لصالحك فتتبّعه.

الله لطيف رحيم في أفعاله وفي جوهره:

رأينا حتى الآن صفات الله التي تبيِّن بأنّه سبحانه عظيم، قادر، قوي، مسيطر وإرادته ماضية فلا معارض له ولا نِدّ، لذلك فقد يظن المتتبِّع لهذه الصفات والذي لا يعرف كل صفات الله أنّه لا بد أن يكون هذا الإله القوي متسلطاً ورعيته خاضعة له بما يملك من قوة وبطش وكل رعيته تهابه وتقرّ له بالربوبية لأنها تخشاه وتخافه. ولكن هذا الكلام غير صحيح وإنّما التسلط هو آفة حكام أهل الأرض الذين جرّوا الدمار والآلام للبشرية وهي دليل نقص في النفس البشرية، ومن

أسبابها ابتعاد الإنسان عن الله وعن قوانينه أمّا الله فقد عرفت أنّ من صفاته العدل وأفعاله تتصف بالمصلحة والحكمة فحاكم بهذه الصفات حتى لو كان يملك القوة والقدرة فلن يستعملها إلا في إقامة العدل وإحقاق الحق لأفراد الرعية في مجتمعه وردع الظالمين والمعتدين على حقوق الآخرين، فبذلك لن يكون متسلطاً بل أنّ رعيته سوف تحبه وتخضع له لصفاته هذه وستجد الطمأنينة في ظله والسعادة في ملكه وستسعى هذه الرعية للتقرب إليه وإجلاله لصفات الكمال التي يتمتّع بها ولأنّه ملاذ النفس الإنسانية الذي يحقق لها غاياتها الصالحة في هذه الحياة ويوجهها نحو السمو والكمال.

وهذه الرحمة وهذا اللطف عند الله يتجلى في أنّه سبحانه قد خلق هذا الكون ودبَّره لمصالح الإنسان ويسّر له فيه كل ما يحتاج إليه ثمّ وضع له القوانين التي تناسب خلقته وأرسل الرسل والأنبياء ليعلم الإنسان هذه القوانين ويدله إلى ما يصلحه، وعلّم أنبياءه أن يبدأوا خطابهم «ببسم الله الرحمن الرحيم»، ليؤكد للإنسانية والبشرية أنّ أساس الدعوة إليه هي رحمة للإنسان وأنّ سلطة الله مقرونة باللطف بالبشر وبالرحمة بهم وإرسال الأنبياء عليهم السلام دليل على هذه الرحمة كما يظهر في خطاب الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم [1] بسم الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾. هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء ليوجه الناس فيقول لهم «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» ليوضح أساساً في بناء العلاقات بين الناس ولبناء المجتمع وهو أساس أراد الله أن يكون

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

نابعاً من إحدى صفاته وتجلياً من تجلياته وهي الرحمة، فالله هو مثال الحاكم العادل الذي يبني مبادئه على القيم فهو رحيم يثيب ويعين ويسدِّد كل من يسعى إلى الصلاح في المجتمع ليرتفع الإنسان إلى إنسانيته التي خلقه الخالق عليها ويحقق الغاية من وجوده في هذه الدنيا وهو الإرتفاع بالنفس إلى الكمال الذي على أساسه يبني المجتمع الكامل، وبنفس الوقت هو الحاكم الشديد العقاب المعاند للظالمين الذين لا يرضى بعملهم ويرشد الناس إلى عدم إتباعهم ويبيِّن لهؤلاء الظالمين[1] بسم الله ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ بأنّ سوء عملهم والضرر الذي يحدثونه للآخرين سوف يعاقبون عليه ويحذرهم من تماديهم فيه، فهو رحيم بخلقه في كل الأحوال لأنّه هو خالقهم فلذلك أوجب على نفسه إرشادهم وتقويمهم إذا انحرفوا عن الطريق المستقيم وفي ذلك غاية الرحمة والرفق وما ذلك إلا من صفات العظماء، فكيف بالله العظيم خالق الإنسان وسبب وجوده وخالق كل هذا الكون، فالقوي القادر هو الأقدر على الرحمة وهو الله الذي خاطب الإنسان بقوله[2] بسم الله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ فغاية الله الحاكم العادل هداية البشر لما فيه صالحهم ولذا أرسل الأنبياء عليهم السلام إليهم دون أن يسألوه.



(١) المصدر: القرآن الكريم. سورة الزلزلة.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الله هو الكمال فليس فيه صفات نقص

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام تلميذ نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو العارف بالله في وصف الخالق سبحانه: «**أول الدين معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه**»(١) فيريد بذلك عليه السلام أن يوضِّح أن أول مراحل الاعتقاد بالله هي معرفة الله والإيمان بأنّه الخالق المنشىء لهذا الكون، فإذا عرفنا ذلك وتعمقنا في معرفته فلا تكتمل هذه المعرفة إلا بالوصول إلى أنّ الله واحدٌ لا شريك له ولا إله غيره في هذا الكون ولا مؤثر غيره في حياة البشر، وبذلك نكون قد اعترفنا حقاً وأعطينا الألوهية حقها ولكي تكتمل صفة الألوهية هذه فلا بد أن نكون الإله حاوياً لكل صفات الكمال التي ذكرناها حتى الآن من علم وقوة وقدرة على كل المخلوقات وهيمنة على الوجود ومراقبة لكل شيء من صغير وكبير وعدالة في سلطته ورحمة في قوته ولطف مع قدرته وغير ذلك فكل صفات الكمال هذه تجعل الإله إلهاً حقاً ولكن كمال هذه الصفات لا يكون إلا بنفي صفات النقص عنه سبحانه وقد رأينا ذلك حتى الآن فلا يمكن لمعنى الإله أن يتحقق إلا بذلك.

---

(١) المصدر: نهج البلاغة.

صفة نفي النقص عنه سبحانه هذه هي سبب الكمال في الخلق وفي المخلوقات فكما بيّنا يضاً فيما مرّ أنّ الغير كامل لا يمكن أن يخلق وينشىء المخلوق الكامل فالغير كامل لا يمكن أن يظهر الكمال والذي هو بنفسه لا يدرك معنى الكمال عن طريق وجوده فيه واتصافه به وكونه من جوهره، لا يمكنه إظهار مفهوم الكمال وصنعه في هذا الوجود. فإذا لا حظنا خلق الإنسان نفسه والكمال في خلقته والكمال في الطبيعة وعملها والانتظام الدقيق للنظام الكوني، فكما قلنا في البدايات فكل هذا يدل على صانع حكيم والآن نقول بأنّه لا يكفي أن يكون هذا الصانع حكيماً بل من خلال ملاحظة الكمال في الخلق وعدم النقص فلا بد أن يكون هذا الصانع هو نفسه كاملاً لا نقص فيه إذ لا يمكن للمصنوع إلا أن يخبر عن صفات الصانع ولا يمكن للمصنوع أن يكون أفضل وأكمل من صانعه، فلو كان في هذا الإله صفات نقص للاحظنا هذا النقص في الخلق والمخلوقات ولتجلى ذلك باختلال في سير الكون ولو كان هناك نقص في قدرة الإله للاحظنا ذلك بسهولة في هذا الوجود المعقّد بينما نحن نلاحظ العكس من كمال وانتظام وديمومة لهذا النظام حتى يشاء هذا الإله الصانع تبديل ذلك.

إذاً فمن هو الله؟:

نعلم في النهاية بأنّ الله هو أحكم الحكماء فليس بحاجة إلى وزير يشير عليه وصاحب القدرة المطلقة فليس بحاجة لمعين يعينه وصاحب القوة التامة فليس بحاجة لعضد يساعده فلما ذكرنا فهو إله لا حاجة

لشريك معه، وهو العالم بكل ما في الوجود فليس بحاجة لمن يُعلمه بشيء وهو واحد لا أجزاء له فلا يحتاج لشيء لاستمراره وليكمله، ولا يصيبه النقص والحاجة لأحد والكل بحاجة له وهو حي أبدي فلا يعرف الموت ولا يصيبه الهرم رغم تقدم السنين، وقديم أزلي كان قبل كل شيء فليس قبله شيء. وهو الذي أوجد كل شيء، وهو لا ينام فلا يغفل عن شيء ولا يسهو عن شيء فهو لا يعرف النوم ولا يحتاج إليه وهو لا يصيبه التعب فهو لا يرتاح ولا يحتاج إليه فهو مرتاح دائماً فلا يؤثر عليه تعب وهو محيط بكل شيء وموجود في كل مكان ولا يخفى عنه شيء في الأرض ولا في السماء، وإذا كان محيط بكل شيء فهو مراقب لكل شيء فلا يخفى عنه شيء ولا يخرج عن قدرته شيء وقدرته مطلقة فلا يوجد من يعانده ومن يعارضه في الوجود ولذلك فهو الإله المسيطر على الكون الذي لا شريك له، وهو مع كل شيء وفي كل مكان فيسمع ويعلم كل شيء فهو قريب إلى عباده إذا دعوه ويجيبهم ذا ناجوه.

وهو فاعل مؤثر في الموجودات فلا يحتاج إلى الحركة وهو مؤثر بكل شيء ولا يتأثر بشيء وهو محرك لكل شيء ولا يحركه شيء فلذلك فكل شيء محتاج له ولا يحتاج لأحد، وإرادته نافذة في الكون ولا يخضع لإرادة أحد ويفعل ما يشاء ولا يفعل أحد شيئاً إلا بإذنه وهو يملك للناس النفع والضر ولا يملك له أحداً نفعاًولا ضراً فلا يتأثر بأحدٍ من خلقه فهو مدبِّر الكون ومدبِّر لشؤون الناس وقادرٌ عليهم في كل حين وهو لذلك أيضاً أرحم الراحمين فهو حريص على هداية البشر فيعرِّفهم عليه ويدعوهم إلى الإيمان به وطاعته وعبادته وهو الأعرف

بنفس الإنسان وبمصلحتها إذ هو خالقها والعالم بأسرارها.

هذا هو الله أيها الإنسان المخلوق وبعدما عرفته فعليك أن تختار فأنت بيدك اختيار مصير حياتك فالله هو أساس وجودك وهو القادر على تنظيم حياتك ومجتمعك وأسرتك فهو خالقك وهو واضع قوانين الكون والحياة فلا يمكن بناء حياة مبنية على أسس سليمة إلا بالعودة إلى هذه القوانين الإلهية وبالعودة إلى الله وقيمه السامية التي تسمو بها النفس الإنسانية والمجتمع الإنساني.



هل تكفي معرفة الله

معرفة الله لا تكفي:

في النهاية وبعدما عرفنا الله سبحانه، نسأل السؤال الذي له تأثير في بناء حياتنا ومجتمعنا: أنّه هل تكفي معرفة الله النظرية وأن نؤمن بوجود الله وندركه بعقولنا لتتبدل حياتنا وتستقيم معاملاتنا ونصل إلى المجتمع الذي نرغب به؟. فالجواب أنّ هذا الإيمان والمعرفة النظرية غير كافيان لأنّه عندها يبقى هذا الإيمان نظرية قابعة في العقول وفي الكتب وعلى الأكثر نتعرف عليها للمعرفة والبناء العقلي للإنسان وهذا وإن كان مفيداً ولكنه ليس هو الهدف الوحيد الذي نسعى إليه في بناء المجتمع، بل يبقى بناء المجتمع ناقصاً ويبقى هذا الإيمان النظري وهذه المعرفة عنواناً فقط لشخصية الإنسان وللحياة الإنسانية والمجتمع دون تأثير عملي في الحياة.

فالأنبياء عليهم السلام لم يأتوا ليعرِّفوا فقط على وجود الله سبحانه، وإن كان ذلك من أهم الأهداف ولكنهم أتوا بقوانين إلهية لبناء النفس الإنسانية وشخصية الإنسان ولبناء المجتمع على أساس الحق والقيم، فإذا نحن لم نتعرف على هذه القوانين فنكون قد تعرفنا على الخالق

دون أن نتعرَّف على ما يختص ببناءنا نحن وعلى ما هو ضروري لتنظيم حياتنا. إذاً فيجب علينا الإطّلاع على قوانين الله وذلك لا يكون إلا بالإطّلاع على كتب الأنبياء التي أرُسلوا بها لتعريف الناس على صفات الله وقوانينه والتي فيها أيضاً أسرار الكون والوجود والتي هي قوانين الخَلق، والتي من خلالها نؤمن بالقوانين التي تتعلق بالإنسان وتجعلنا نؤمن أكثر بضرورة العمل بها، لأنّ نظام الإنسان هو من نظام هذا الكون وتابع له فالإله المنظِّم قد نظَّم كل الوجود وفق القوانين التي هي لصالح كل المخلوقات فإذا كان نظام الكون أمام أعيننا فهذا دليل على صحة القانون الذي وضعه الله للخلق ومنه قوانين المجتمع الإنساني. ثمَّ بعد معرفة قوانين هذا الكون والقانون الذي وضعه الله للإنسان، تأتي مرحلة السعي للعمل بهذا القانون الإلهي.

وهنا وبعد العمل بها تبدأ آثار هذه القوانين بالظهور في المجتمع أكان على مستوى الفرد أو المجتمع فيلاحظ ذلك في بناء شخصية الإنسان وفي تطور القيم التي تحملها النفس الإنسانية نحو المُثُل والخير والحق، فتنتج رُقياً في التعامل الإنساني فيظهر ذلك في بنية المجتمع ويساهم في سيره نحو الصلاح والعدل. ثمَّ بعد بناء الإنسان الصالح نسعى إلى تطبيق هذه القوانين الإلهية الخاصة ببناء المجتمع والتي تنظم المجتمع وتهتم بكل المحالات فيه، حيث أن الأنبياء عليهم السلام جاؤوا بشرائع تتكفّل بكل نواحي المجتمع من إقتصادية وإجتماعية ومالية وعسكرية وحتى أنّ بعض الأنبياء علمّوا الناس الصناعات كالنبي إدريس عليه السلام الذي علم قومه صناعة اللباس وكالنبي داوود عليه السلام الذي علمه الله صناعة الدروع للحرب فأفاد بها

قومه، فعندها وفي النهاية وبعد تطبيق هذه القوانين يظهر هذا الإيمان النظري بالله إيماناً عملياً يحرِّك حياة الإنسان ويحرك المجتمع المؤمن بالخالق فيُنتج مجتمعاً صالحاً طالما سعى إليه الإنسان منذ القديم.

منْ الذي يتولى تطبيق قانون الله في الأرض؟

المعروف عند علماء الإجتماع أنّ كل مجموعة تؤمن بمبادئ معيّنة تجتمع عليها وتسعى إلى تطبيقها في المجتمع لابد لها من الإعتماد على قائد يتولى تنظيم وتوجيه هذه المجموعة نحو هذه الأهداف المنشودة، وطبعاً الذين يؤمنون بالله يشكِّلون مجتمعاً واسعاً فلابد لهم من هذه القيادة التي تتولى قيادة هذا المجتمع وتسعى لتحقيق أهدافه وتطبيق القوانين الإلهية، فمنْ يكون هذا القائد والموجِّه إذاً؟

تختلف المجتمعات التي يُدعى فيها إلى طاعة الله ومعرفته عن باقي المجتمعات، بأنّ هذه الأهداف التي تؤمن بها وتسعى إلى تطبيقها تتعلّق مباشرة بالله خالق هذا الكون، لأنّه سبحانه أراد أولاً أن يعرِّف البشر على حقيقة هذا الوجود وبأنّه هو الخالق للإنسان ولهذا الكون ويخبرهم عن سر وجودهم على هذه الأرض، ومن ثمّ ليهدي هذا الإنسان وعلى أساس الإيمان بالله إلى النظام والقوانين التي هي الأفضل له لأنّها نابعة من معرفة الله بخلقه فهو الأدرى بما يصلحهم وما يضرهم. إذاً فحقيقةً وواقعاً فإنّ الله هو الذي يتولى تنفيذ وتحقيق هذه الأهداف والإشراف عليها، وقد بيّنا فيما سبق بأنّ الله هو الحاكم الفعلي للكون والإنسان وهو الذي يستطيع إيصال هذا الإنسان إلى

السعادة وأنّه هو المؤثّر في سير هذا الكون وفي حياة الإنسان تبعاً لإيمان هذا الإنسان به كما مرّ معنا. فالله هو المحرِّك للحياة البشرية فلذلك فهو يعرِّف عن نفسه أولاً ويخبر عن حقيقته ثمَّ يدعو الإنسان إلى بناء وإعمار هذه الأرض التي خلقها له، لأنّ هذا البناء يتعلق بالإيمان بأنّه سبحانه هو المؤثّر والمحرِّك والقادر والفاعل عند هذا الإنسان.

لكن لمّا قلنا بأنّ الله هو غير كل شيء وليس بوجود مادي ليتّصل بالبشر أو ليُرى أو يكلِّم الإنسان، فقد إتخذ لذلك سبحانه واسطة بينه وبين البشر لإيصال هذه الحقيقة وهذه القوانين إليهم وهم الأنبياء عليهم السلام والذين وكّلهم أمر قيادة المجتمع وتبليغ رسالته والإشراف على تطبيق أحكامه. فهنا يتّضح الفارق الكبير بين القيادات الدنيوية والتي فيها كثير من النقص والمليئة بالأهواء والغرائز والتي تحرِّكها المصالح، وبين القيادة الإلهية الي هي ممثلة لسلطة الله في هذا الكون والتي أوضحها سبحانه بقوله[١] بسم الله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فالله في كلامه هذا يوضح بأنّ الأنبياء عليهم السلام وأولهم آدم هم خليفته في الأرض ويمثلون سلطته ويبلّغون شريعته إلى الناس ويعلمونهم هذه الشريعة، فهذه القيادة إذاً لا تتصرَّف من تلقاء نفسها بل بتوجيه وتعليم من الله سبحانه[٢]: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وهي لا تعرف الأهواء والمصالح ولا تقع في الأخطاء والإنحرافات لأنّ الله إختارها وربّاها لتكون المثال الأعلى

(١) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٣٠.

للبشرية بما تتمّع به من صفات عالية في الأخلاق والحكمة والسيرة المثالية كعيسى بن مريم عليه السلام[١]: «بسم الله ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذي وصفه رب السماوات بسم الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] وغيرهم من الأنبياء الذين كانوا على صفات عالية في مجتمعهم وعلّموا الناس القيم وأصلحوا مجتمعاتهم.

إذاً في النهاية نصل إلى أنّ القيادة الإلهية في الأرض هي من أفضل أنواع القيادة، لأنها بالواقع هي قيادة الله للإنسان في الحياة ولكن عبر واسطة وهي الأنبياء عليهم السلام، وكما قلنا في البداية بأنّ نظام الإنسان هو من نظام هذا الكون فمن يكون إذاً أفضل من منظِّم الكون والعارف بأسراره لكي ينصِّب القيادة التي تنوب عنه في هذه الأرض وتعمل باسمه لتحقيق أهداف الحق والعدل.

ونصل إلى النتيجة بأنّه يجب السير وراء هذه القيادة، قيادة الأنبياء عليهم السلام فنكون قد إعترفنا حقيقة بأنّ الله هو المؤثِّر الوحيد في هذا الكون وهكذا نكون قد آمنّا فعلاً وعملاً بالله سبحانه، وعندها كما ينتظم هذا الكون بسيره على قانون خالقه كذلك تنتظم حياة الإنسان ويصلح مجتمعه بالسير على قانون هذا الخالق العظيم.

تمّ في محرّم ١٤٢٧هـ

---

(١) المصدر: القرآن الكريم. سورة مريم، الآية: ٣٠.
(٢) المصدر: القرآن الكريم. سورة القلم، الآية: ٤.

الفهرس